القسم الرابع

ماذا قالوا حول الرومي وحول المثنوي

مولانا الرومي: "المثنوي دكان التوحيد. إن رأيت هناك شيئا غير التوحيد فاعلم أنه صنم".

إقبال: "لقد حوّل مولانا التراب إلى إكسير. فكم من تجليات أحدثها عندي أنا الذي لست إلا ذرة تراب حقيرة. فكأن ذرة من تراب في صحراء رحلت لكي تصطاد نور الشمس. أنا موجة سكنت في بحره لأحصل على لؤلؤة لماعة. لقد تجلى لي مولانا الذي لم يفارق طريق الحق تعالى".

عبد الله الدهلوي: "ثلاثة كتب لا مثيل لها: القرآن الكريم، وصحيح البخاري، ومثنوي جلال الدين الرومي".

الخليفة عبد الحكيم: "على الرغم من أن كتب المتصوفين متساوية من الناحية الفلسفية، إلا أن الناحية العاطفية والوجدانية والحدسية للرومي تتسامى على الآخرين بما لا يقبل القياس".

أ. **ماريا شيمل**: "هناك لحظات لا تُنسى في حياة الإنسان تغير جميع مجرى حياته. في تلك اللحظات يشعر الإنسان بالقرب الإلهي، ويغرق مرتعشا في بحر من الوجد السماوي. عشت هذه اللحظات للمرة الأولى في حياتي وأنا طالبة شابة في ألمانيا عندما استمعت من أستاذي السطور الأولى للمثنوي. منذ تلك اللحظة لم أفارق -إطلاقا- كتب الرومي الذي أكنّ له تقديرا واحتراما عظيمين.

وحتى في وسط عواصف النار واللهب المفجعة للحرب كانت أبياته تحدثني عن لهيب الحب الإلهي. وفي السنوات الطافحة بالألم والعذاب التي عشتها بعد الحرب، علمتني أبيات المثنوي أن الإنسان لا ينضح إلا بلهيب الآلام، وأن جوهره لا ينجلي ولا يلتمع إلا بعد معترك الآلام. لقد قرأت بسعادة غامرة أبيات شعره التي قالها وهو في سعادة غامرة من هبوب النسائم السماوية عليه وهو يدور حول نفسه وكأنه في الحضور الإلهي. وقد تيسر لي أن أصادف في كل مكان ذهبت إليه محبي الرومي والمعجبين به".

هامر: "لقد سما الرومي بأجنحة الشوق والوجد الإلهي إلى مقامات لم يبلغها لا حافظ الشيرازي ولا غيره من الشعراء.

هانس ماينك:

يا رومي! ما إن أصبحتُ أنا أنتَ

حتى خرس الجنون...

يا رومي! ما إن أصبحتُ أنا أنتَ

حتى انقلب الشمال جنوبا والجنوب شمالا

قل لي! هل بقي هنا شاطئ واحد

لم ينبض قلبه؟

وهل هناك عندك

كلام واحد لا معنى له؟

أ.ج آربري: "سأوقف ما بقي من سنوات عمري لدراسة مؤلفات الرومي فقط. لأنه من الممكن العثور على حلول روحية ومعنوية في كتب الرومي لأمراض عصرنا. لقد أنقذ الرومي العالم من اضطرابات وقلاقل كبيرة قبل سبعة قرون. واليوم أي شيء ينقذ أوروبا سوى كتبه؟

نجد عند الرومي المرتبة السامية من الدهاء التصوفي. وعندما نتطلع إلى

المنظر الجليل للمتصوفين الشعراء نرى الرومي في ذروة قمة جبل شاهق. أما المتصوفون الشعراء قبله وبعده فليسوا سوى تلال في سفوح ذلك الجبل الشاهق".

إيرينا مليكوف: "لو قامت أمم الأرض بترجمة مؤلفات الرومي وقرؤوها لا يبقى هناك في العالم شر أو حرب أو حقد أو عداء ونفور".

م. باراس: "كنت كأنني واقف على شوك. فقد كنت متلهفا لزيارة ضريح الرومي ومدرسته والمكان الذي كان يجري فيه رقصة "السماع"، والعيش في رحاب وجده وعشقه الإلهي، وأن أستمع إلى نغمات أشعاره.

وأنا أعتقد أنه لا يمكن مقارنة حياة أي شاعر من الشعراء الذين أعتبرهم رسل عالم النور والضياء، بحياة جلال الدين الرومي. وبعد أن رأيت الدراويش وهم يتغنون في "السماع" بنغماته، علمت ماذا كان ينقص دانتي وشكسبير وجوته وهيجو".

قصص مختارة من المثنوي

١. الصائغ وجاره

قال أحد جيران الصائغ له: يا جاري، هلا أعرتني الميزان الذي تزن به الذهب؟

قال الصائغ: أنا آسف لأنني لا أملك منخل طحين.

- أعتقد أنك ما فهمتني، أنا أطلب ميزانا.

- لا توجد مكنسة في دكاني.

لم يتحمل الجار الذي طلب الميزان فقال: يكفي هذا القدر من السخرية بي. أنا أطلب الميزان وأنت تذكر لي أشياء أخرى. إن كنت تريد إعطائي فاعطني، وإن لم تكن تريد ذلك فقل بصراحة.

فقال له الصائغ:

أنا لست أصم أيها الجار، وقد سمعت كل ما قلته، ولكن لا تحسب أن أجوبتي كانت هذرا. فقد رأيتك ضعيفا ويداك ترتجفان. وعندما تقوم بوزن الذهب بهاتين اليدين المرتجفتين فمن المحتمل وقوع بعض قطع الذهب على الأرض. فتأتي إلي وتقول لي: "يا جاري، أين المكنسة لأجمع قطع الذهب". وعندما تجمعها ستأتي إلي وتطلب مني المنخل لكي تستخلص الذهب من الأتربة والأوساخ العالقة به. كل ما في الأمر أنني حدست الأمور منذ البداية.

٢. هل يمكن أن يصبح ابن آوى طاووسا

وقع ابن آوى في برميل أصباغ. وعندما خرج نظر إلى جلده الذي أصبح ملونا بالأحمر والأصفر والأخضر وقال:

"أنا طاووس رفيع المقام".

وكلما صعدت الشمس إلى كبد السماء كانت الأصباغ على جلده تجف وتلتمع أكثر. وعندما ذهب يمشي مختالا إلى أصدقائه قالوا له:

"ما هذه الحال يا ابن آوى؟ وما فرحك هذا واختيالك؟"

قال ابن آوى بغرور:

"وكيف لا أختال؟ ألا تشاهدون مدى جمالي وفتنتي؟ لقد أصبحت فخرا للدنيا، ولو سجدت لي جميع بنات آوى لكنت جديرا بذلك. ثم إنني لست ابن آوى، ومن يملك منكم كل هذا الجمال؟"

سألوه: "إن لم تكن ابن آوى فمن أنت؟ بأي اسم ندعوك؟"

- الطاووس الشهير.

- ولكن هذا يحتاج إلى دليل. فالطاووس يتجول في حدائق الزهور فهل تتجول أنت أيضا هناك؟

- كلا

- هل صوتك مثل صوت الطاووس؟

- كلا

- إذن، لا يمكن أن تكون طاووسا. فجمال الطاووس من الله ﷻ ولا يمكن ادعاء ذلك بالكذب والحيلة.

٣. زيارة أصم مقلد لمريض

كثيرا ما يقع المقلد في أخطاء جسيمة، فبدلا من تعديل حاجب فإنه يقلع عينا. والحكاية الآتية مثال مرير على هذا:

عزم أصم على زيارة جاره المريض. ولكنه كان متحيرا؛ إذ لا يدري ماذا يقول له دون أن يعلم جارُه بأنه أصم. فأخذ يحدث نفسه ويرتب ما يقول له من أسئلة وما يجيب عليه. قال في نفسه: عندما أرى شفتيه تتحركان أتظاهر بأنني سمعت ما قاله فاجيبه بجواب مناسب؛ فمثلا: عندما أسأله: كيف حالك؟ سيقول لي:

"الحمد لله إنني بخير". إذ ليس هناك جواب آخر له. ثم أسأله: "ماذا تأكل وماذا تشرب؟" فيقول لي "إنه يأكل حساء العدس ويشرب عصير فاكهة". فأقول له: "اللهم اجعلهما شفاء له". ثم أساله: "أيّ طبيب فحصك؟" فيذكر لي اسم طبيب من الأطباء، فأقول له: "إن السعد في قدميه، فأينما حل حقق هدفه وقصده".

وهكذا رتب الأصم الحوار في ذهنه وذهب لزيارة جاره المريض وابتدره بالسؤال:

كيف حالك يا جاري؟

- آه يا جار، أنا في أسوأ حال، أكاد أن أموت.

- ما أجمل ما أسمعُ.. الحمد لله.

تجهم وجه المريض من هذا الجواب وقال في نفسه: "ما أقبح كلامه هذا. أهكذا يكون تطييب الخاطر؟"

وعندما سأله الزائر: "ماذا تأكل وماذا تشرب؟" قال له بحدة:

"سم الأفعى".

فقال له الزائر مبتسما:

"أحسنت، جعله الله شفاء لك".

قال المريض في نفسه: هذا الرجل لا يرجو الخير لي.

وعندما سأله الزائر:

"من يعودك من الأطباء؟"

أجابه بغضب:

"عزرائيل هو طبيبي... دعني في حالي ولا تضطرني إلى قول ما يسيء إليك".

- إنه طبيب حاذق يعرف كيف ينجز عمله جيدا.

قال المريض في نفسه: هذا الرجل ليس صديقا لي، بل هو من ألد أعدائي وتمنى لي الموت.

أما الأصم فقد خرج من عند المريض فرحا وهو يقول في نفسه: ما أجمل ما قمت به اليوم، لقد نلت ثوابا كبيرا.

٤. لا تؤجل إلى الغد

تصادق مسلم ومسيحي ويهودي في سفر، ولا تقل لي كيف حدث هذا فقد يجتمع الصقر والغراب والبوم في قفص واحد. ولكن ما إن يخرجون من القفص حتى ينطلق كل طائر في سبيله. على أي حال، عندما وقفوا للراحة في الطريق جلب أحدهم إليهم بعض الحلوى. كان المسلم صائما وكان الآخران شبعانين. وفي المساء اقترح المسلم على رفيقيه تناول الحلوى، فقالا له:

"نحن الآن شبعانان، غدا سنأكل".

وعندما أصر المسلم: اتهماه قائلين له:

"الظاهر أنك تريد أكل الحلوى وحدك".

قال المسلم:

"إن كان هذا هو ظنكم إذن لنقتسم الحلوى وليأكل كل واحد حصته متى رغب".

ولكنهما لم يقبلا حتى بهذا الاقتراح، لأنهما كانا يريدان أن يبيت المسلم جائعا. قالا له:

"لِنَبِتْ هذه الليلة، ثم ليقص كل واحد منا الحلم الذي رآه في منامه بعد الاستيقاظ. وحسب الإشارة في المنام سيأكل من يستحق الحلوى".

ثم نام النصراني واليهودي. وانتظر المسلم نومهما ثم أكل وحده الحلوى بأكملها.

في الصباح قَصَّ اليهودي حلمه فقال:

"حلمت البارحة أنني مع موسى عليه السلام، توجهنا معا إلى جبل طور، وهناك ابتلعنا نورٌ كبير. كان النور ساطعا إلى درجة أن الجبل أصبح دكا من شدته

فأغمي علينا. ثم أقبل الأنبياء جميعا ودعوا وتضرعوا لكي يروا الله تعالى. إلا أن أحدا منهم لم يحصل على هذه النعمة الكبيرة. ولما كان موسى عليه السلام هو النبي الوحيد الذي تكلم مع الله ﷻ ولما كنت أنا من أمته فأنا وحدي أستحق أكل الحلوى".

ثم تكلم النصراني بعده وقال:

"لقد حلمت بأنني مع عيسى عليه السلام في السماء الرابعة. وبما أن السماء أسمى من الأرض فأنا الذي أستحق الحلوى".

ثم نظرا إلى المسلم منتظرين ما سيقوله، فقال المسلم:

"أنا أيضا رأيت سيدي الرسول ﷺ في المنام فقال لي: لقد ذهب أحد صديقيك إلى جبل الطور، والآخر إلى السماء الرابعة، فوصل كل منهما إلى مراده، إذن فقم أنت وكل الحلوى".

ما إن قص المسلم هذا على صاحبيه حتى قالا له بقلق شديد: "آه أيها المسلم! هل أكلت الحلوى؟"

فقال لهما: "لو أمركما نبيكما بأكل الحلوى أما كنتما تطيعانهما؟ لذا كان من الضروري أن أطيع النبي ﷺ".

قالا له: "الحق أن رؤياك صادقة وكانت أفضل من رؤانا، لقد استحققت أكل الحلوى، فهنيئا مريئا".

٥. الكبش والبعير والثور

تصادقت هذه الحيوانات الثلاثة. وعندما كانوا يمرون من مكان عثروا على حزمة عشب.

فقال الكبش محاولا أن يبدو ذكيا: "لو قسمنا هذه الحزمة على ثلاثتنا لما أشبعت أيا منا! الأفضل أن نعطيها لأكبرنا سنا، لأن احترام كبار السن هو من سنة المصطفى ﷺ".

قَبِل الجميع بهذا وبدأ النقاش حول السن.

قال الكبش: لا شك أنني أكبركم سنا. أنتم تعلمون طبعا الكبش الذي فدى الله به إسماعيل عليه السلام. لقد رعيت معه في نفس المرعى.

فكر الثور قليلا ثم قال: وهل هذا شيء! لقد شاهدت آدم عليه السلام وهو يحرث الأرض مع ثوره.

على أثر هاتين الكذبتين لم يقل البعير شيئا، بل مد عنقه وتناول حزمة العشب وبدأ يأكلها وهو يقول: لست في حاجة إلى أي دليل. إذا كنتما أنتما ببدانكما الصغيرين هذين بمثل هذا العمر المديد فيجب أن أكون أنا أكبر منكم سنا.

٦. النصائح الثلاث للطائر

صاد صياد طائرا فقال له الطائر:

"يا سيدي! لقد أكلت حتى الآن العديد من الأبقار والخراف والجمال فلم تشبع، فهل ستشبع من لحمي الذي لا يزن ثلاثة دراهم؟ أطلقني وأنا أعطيك ثلاث نصائح تفيدك في حياتك. غير أن لي شروطا ثلاثة لهذه النصائح، وهي أنني أقول النصيحة الأولى وأنا في قبضتك والثانية عندما تطلقني والثالثة عندما أكون فوق الشجرة".

قبِل الصياد هذه الشروط.

فقدم الطائر نصيحته الأولى فقال: إن قال لك أحد شيئا لا يقبله العقل فلا تصدقه.

أطلق الصياد الطائر من يده، فقال الطائر وهو يطير: لا تحزن على ما فات.

وعندما وقف فوق غصن شجرة ذكر شيئا غريبا فقال:

أتدري أي ثروة أضعتَها؟ لأن في حوصلتي جوهرة تزن عشرة دراهم فلو لم تطلق سراحي لكانت هذه الجوهرة تكفيك أنت وأولادك ومن بعدك.

عندما سمع الصياد هذا الكلام بدأ يضرب فخذيه ندما وينتف شعر رأسه. وبعد فترة قال للطائر:

أعطني النصيحة الثالثة في الأقل.

فقال له الطائر:

ولماذا؟ فهل استفدت من النصيحتين السابقتين لكي أعطيك الثالثة؟ لقد قلت لك في النصيحة الأولى: "إن قال لك أحد شيئا لا يصدقه العقل فلا تصدقه". بينما صدقت كلامي عندما قلت لك: "إن في حويصلتي جوهرة تزن عشرة دراهم"، مع أن بدني كله لا يزن سوى ثلاثة دراهم. وفي النصيحة الثالثة قلت لك: "لا تحزن على ما فات"، بينما قمتَ بنتف شعر رأسك ندما. إذن فلا حاجة لك لأي نصيحة ثالثة.

قال الطائر هذا ثم طار.

٧. الفيلسوف والبدوي

ركب بدويّ ظهر بعيره مع ما يملك من أكياس القمح. فمر في طريقه على عالم يمشي راجلا. تحادثا معا فترة من الزمن، سأل العالم البدويَّ: "من أنت، ومن أين أتيت، وإلى أين تذهب، وماذا يوجد في أكياسك المحملة على البعير؟" فقال البدوي: "إن أحد الكيسين يحتوي على قمح والآخر يحتوي على رمل". وعندما سأله العالم عن سبب هذا قال البدوي:

"لا يستقر الكيس الواحد على ظهر البعير، لذا أضع كيس الرمل على الجانب الآخر لكي يوازن الأول".

فقال العالم:

أنت بهذا العمل تزيد من حمل البعير دون أي سبب. تستطيع إفراغ كيس الرمل ثم تضع فيه نصف القمح. أليس هذا أفضل؟ أعجب البدوي بهذا الاقتراح وعلم بأن رفيق طريقه شخص عالم، وقال له:

ما أجمل رأيك! لو فكرت أنا ألف عام لما خطر بذهني ما قلته.

ثم أركبه على بعيره، وقال له:

والآن عرفني أنت بنفسك. لماذا تمشي هكذا راجلا دون رفيق أو صاحب؟ بما أنك تحمل كل هذا العقل اللماع فأنت إما سيد كبير أو وزير.

قال العالم:

لست سيدا كبيرا ولا وزيرا. ألا تنظر إلى ملابسي وقيافتي؟

هنا خطر على بال البدوي بأن رفيقه غني من الأغنياء. فسأله عن عدد الجمال والماشية وعدد الدكاكين والأموال التي يملكها. وكلما سأله البدوي عن شيء كان جواب العالم هو النفي، إذ قال له العالم:

لا أملك أي شيء من الأشياء التي ذكرتها. فكما تراني أمشي راجلا وأتجول هنا وهناك، فمن أعطاني لقمة قضيت الليلة على بابه. أي إن هذا العلم الذي أملكه والذي أعجبت به لم يهب لي سوى صداع الرأس.

هنا أنزله البدوي من بعيره حالا قائلا له:

ابتعد عني حالا، وليكن عقلك وعلمك لك. فأنا لا أحتاج إلى هذا العلم الذي لم ينفعك ولم يطعمك ولم يكسُك. ودعني أستمر أنا بهذا العقل، وأستمر على موازنة القمح بالرمل، لأن عقلي هذا يكفي لقضاء حاجاتي. وليبارك الله لي في هذا الجهل وهذا الحمق.

٨. ما الفيل؟

جُلب لأحد السلاطين فيل من الهند ووضعوه في إسطبل القصر. وساد فضول بين الناس حول هذا الفيل الذي لم يكن أحد منهم قد رآه في حياته. أقبل جمع من الناس لمشاهدة الفيل، ولكن الإسطبل كان مظلما. مد أحدهم يده فوقعت على خرطوم الفيل، أماله ذات اليمين وذات الشمال ثم قال لأصحابه:

- هذا الفيل يشبه أنبوبا لينا وفارغا.

ولمس أحدهم أذن الفيل فشبه الفيل بمروحة لينة وسميكة من قطيفة. ووضع

ثالث يده على الظهر العريض للفيل فحسب أن يشبه الفيل تختا... وهكذا عرّف كل منهم الفيل حسب ظنه.

هنا يقول الرومي: "لو كانت هناك شمعة بيد أحدهم لشاهد الجميع الفيل على حقيقته ولزال الخلاف بينهم".

٩. إن كانت هذه هي القطة فأين اللحم؟

كان لرجل امرأة مخادعة ونهمة. في أحد الأيام اشترى الرجل من القصاب نصف أوقية من اللحم، وأخذه إلى البيت وأعطاه لزوجته قائلا:

- في هذا المساء عندي ضيف، أرجوكِ أن تطبخي هذا اللحم وتهيئي الطعام حتى رجوعي معه إلى البيت.

طبخت المرأة النهمة اللحم، ولكنها لم تستطع منع نفسها فجلست وأكلت اللحم كله.

عندما رجع الرجل في المساء إلى البيت ومعه ضيفه قال لزوجته:

- هل الطعام جاهز؟

اخترعت المرأة في الحال كذبة وقالت:

- لقد أكلت القطة اللحم. اذهب واجلب لحما آخر للضيف.

فكر الرجل قليلا ثم قال:

- أحضري الميزان والقطة الآن، لنعرف ماهية المسألة.

وزن الرجل القطة فكان وزنها نصف أوقية ثم التفت إلى زوجته متسائلا:

- ويحك يا امرأة! اللحم نصف أوقية وكذلك القطة. فإن كانت هذه هي القطة فأين اللحم، وأن كان هذا هو اللحم فأين القطة؟

١٠. حكاية الرجل الذي يريد الوشم ولا يتحمل ألمه

يقول الرومي: إن عادة الوشم -الرائجة بين الشباب في هذه الأيام- كانت

رائجة في مدينة قزوين رواجا كبيرا، وكان المدلكون في الحمامات هم القائمين بعملية الوشم.

فذهب أحد هواة الوشم إلى حمام، وطلب من أحد المدلكين عمل وشم على كتفه. سأله المدلك:

- أي رسم تريد أن يكون الوشم؟

- أنا من برج الأسد، وبرج الأسد برج سعد، لذا أريد منك رسم الأسد.

فأخذ المدلك إبرته وبدأ يثقب بها جلد الرجل الذي بدأ يصرخ من الألم:

- آه! إن ألم الإبرة يكاد يقتلني. من أين بدأت الرسم؟

- من الذنب.

- ليكن دون ذنب. انتقل إلى موضع آخر من الرسم.

بدأ المدلك برسم موضع آخر. ولكنه ما إن أدخل إبرته في جلد الرجل مرتين حتى صرخ الرجل:

- أكاد أموت من الألم. أي عضو ترسمه الآن؟

- الأُذن.

- ليكن الأسد دون أذن. الأذن ليست مهمة. انتقل إلى موضع آخر.

ضجر المدلك، ولكنه بعد أن حوقل: انتقل لرسم عضو آخر.

ولكن الرجل القليل الصبر صرخ هذه المرة أيضا:

- يكاد الألم يقتلني. أي عضو ترسمه الآن؟

- بطن الأسد.

- آه... آه... ليكن الأسد دون بطن. انتقل إلى موضع آخر.

هنا نفد صبر المدلك فرمى الإبرة من يده وقال غاضبا:

- قل لي بربك، هل في الدنيا أسد دون ذنب وبطن؟ لم يخلق الله تعالى مثل هذا الأسد، إن كنت مدللا إلى هذه الدرجة ولا تصبر على الألم فاعدل عن الوشم.

١١. أفضل وأسوأ شيئين

قال سيده للقمان:

- اذبح لي شاةً وأحضر لي أفضل شيء فيها.

ذبح لقمان الشاة وأحضر له القلب واللسان.

قال له سيده مرة أخرى:

- والآن أحضر لي أسوأ ما فيها.

أحضر له لقمان القلب واللسان أيضا. وعندما سأله سيده عن السبب أجابه لقمان:

- لا يوجد في الإنسان الفاضل في هذه الدنيا، أفضل من قلبه النقي ولسانه الحلو. فإن كان الإنسان دون خلق فأسوأ شيء فيه أيضا قلبه ولسانه.

١٢. أحسن وأسوأ شيئين

عثر فقير متكبر على قطعة شحم. فأخذ يلمع بهذا الشحم شاربه كل صباح، وذلك لكي يوهم الآخرين بأنه أكل أطعمة دسمة. ولم يكن يقبل لغروره دعوة أحد له إلى الطعام. ولكن قرقرة بطنه من الجوع كانت تكذِّب شاربه. فدعا عليه بطنه: "يا رب! أفقر هذا الشخص المغرور إلى درجة أن يعطف عليه الكرماء".

في أحد الأيام اقترب هذا الرجل من مجلس طعام فدعوه إلى المائدة، إلا أنه فتل شاربه المدهون مدعيا أنه شبعان. هنا أقبل عليه ولده الصغير من البيت راكضا وهتف أمام الجميع:

- أباه! أباه! لقد سرقتْ القطة قطعة الشحم التي تدهن بها شاربك وهربتْ، ولم أستطع اللحاق بها، أرجو ألا تغضب عليّ.

ضحك الجميع منه وتألموا من حاله ودعَوه إلى الطعام فقبل وأشبع بطنه.

١٣. لا تبك للآخرين، بل ابكِ لحالك

مر أحد الشعراء الغرباء من مدينة حلب في أيام عاشوراء. وكان أهالي حلب يجتمعون أيام عاشوراء قرب باب أنطاكية، ويلطمون خدودهم ويشقون جيوبهم حزنا على شهداء كربلاء. فسأل هذا الشاعر أحد المارة:

- ما سبب هذا العزاء الذي تئن منه الأرض والسماء؟ عندما أشاهد هذا الجمع في هذا العزاء أحسب أن الشخص المتوفى من كبار الأغنياء وممن له أتباع عديدون. أنا شاعر غريب أعيش على نظم القصائد في المناسبات السعيدة، وأنظم المراثي في المناسبات الحزينة، لذا أرجو أن تخبرني عن الشخص المتوفى ومن هو لكي أنظم له مرثية لكي يتكرم عليّ محبوه وأقرباؤه ببعض المال.

غضب الشخص الذي سأله غضبا شديدا وقال محتدّا:

- أجننتَ أنت؟ أم أنت من أعداء آل البيت وتتكلم هكذا بأسلوب كناية؟ كيف لا تعرف أن هذا اليوم هو يوم عاشوراء الذي نبكي فيه على شهداء كربلاء ونلعن يزيد وشمر.

هنا يضع الرومي الجواب الآتي على لسان ذلك الشاعر:

ولكن أين زمان يزيد وشمر من هذا الزمان؟

لقد مرت عصور وعصور.

وقد بكت الملائكة في السماء من هذه النكبة الأليمة،

وسمع بها الصم في الأرض.

حتى العميان رأوا هذه المصيبة الفاجعة وبكوا لها.

أين كنتم حتى الآن؟

فهل سمعتم بها الآن لكي تعلنوا العزاء؟

لقد رحل هؤلاء الشهداء إلى الجنة منذ وقت طويل،

وعادوا إلى دار السعادة.

لذا فانتم الجديرون بالبكاء على أنفسكم.

ابكوا على أنفسكم وحالكم البائسة وقلوبكم الخربة.

١٤. الباز الذي وقع على دار عجوز

هرب باز كان أحد السلاطين يستخدمه في الصيد، وذهب مصادفة إلى دار عجوز تقوم بنخل الطحين. لم تكن العجوز قد رأت طوال حياتها مثل هذا الطائر بمنقاره الطويل وجناحيه الطويلين ومخالبه الطويلة. فأشفقت العجوز عليه وقالت: أيها الطائر المسكين! كيف أَهملك صاحبك إلى هذا الحد حتى أصبحت بهذه الحال. وبعد أن ربطته بحبل قامت فقصت منقاره ونتفت ريش جناحيه وقصت مخالبه. ثم نظرت إليه قائلة:

- الآن أصبحتِ تشبه الطير.

ثم وضعت التبن أمامه ليأكله. وعندما لم يأكل الباز التبن غضبت منه وقالت محتدّة:

- ما لهذا الجاحد! لا يعرف مدى الخير الذي صنعتُه له، وهو الآن لا يأكل ما أقدمه له من طعام.

ثم بدأت في صفع رأسه.

ومن جهة أخرى بدأ السلطان يبحث عن طائره وأخيرا وجده في دار تلك العجوز، وعندما رأى حاله المزرية قال:

- هذا هو جزاء من يهرب من السلطان ويتخذ بيت العجوز مسكنا له.

١٥. موسى عليه السلام والراعي

عندما توجه موسى عليه السلام إلى جبل الطور، رأى راعيا يدعو بأدعية خرقاء لا معنى لها حيث يقول:

- يارب! دعني أراك لكي أخدمك، فأخيط نعلك إن كانت بالية، وأغسل شعر رأسك إن كان وسخا، وإن جعتَ أجلب لك الحليب، وأنا أَقبَل أن أضحي بجميع ماشيتي من أجلك... إلخ.

نهر موسى عليه السلام الراعي وقال له:

- يا رجل! إن الله تعالى منزه عن جميع ما ذكرت. انتبه لكلامك وإلا أصبحت كافرا.

أحنى الراعي المسكينُ رأسه إلى الأرض خجلا. وابتعد حزينا آسفا. هنا هتف الله ﷻ بموسى عليه السلام:

- يا موسى! المطلوب منك أن تقرّب العباد مني، أما أنت فقد أبعدت عبدنا عنا. نحن لا ننظر إلى الكلام بل إلى الحال وإلى القلب وإلى النية. لا تهتم بكلامه بل اهتم بغايته وهدفه.

هنا أسرع موسى عليه السلام إلى الراعي ولحق به وبشّره بما سمعه.

١٦. البعوضة وحال الريح

جاءت بعوضة إلى النبي سليمان عليه السلام وقالت متوسلة:

- يا صاحبَ دار العدالة ومالكَه! يَا مَن يطيعه الجميع، من الطيور إلى الأسماك! أغثنا... لأننا تعرضنا لظلم شديد فلم يعد لنا أي نصيب لا في السهل ولا في بساتين الزهور... أنقذنا بعدالتك من هذه المصيبة.

استغرب النبي سليمان عليه السلام من قولها وقال:

- ويحكِ ماذا تقولين! أيوجد مثل هذا الظالم في عهدنا هذا؟ أما انقشع الظلام بظهور النور، أوَما اختفى الظلم بحلول العدالة!؟ قولي لي، من أي ظالم تشكين؟

- شكايتي من الريح. ذلك لأنها لم تدع لنا لحظة راحة.

- حسنا، ولكن العدالة تقتضي أن نسمع الطرفين. ذلك لأنه إن لم يكن كلا الخصمين موجودين فلا تنجلي الحقيقة.

- يا مولاي! أيمكن لخصم قوي مثل الريح أن تنصاع لدعوةِ بعوضة؟ لن تطيع الريح إلا أوامركم يا مولاي فإن أمرتها جاءت.

فدعا سليمان عليه السلام الريح:

- يا ريح الصبا! إن بعوضة رفعت ضدك دعوى.. تعالي لتقدمي دفاعك وحجتك.

جاءت الريح في الحال، فألقت بالبعوضة بعيدا. فهتف بها سليمان عليه السلام:

- إلى أين تذهبين أيتها البعوضة؟ لماذا ابتعدتِ قبل أن ننظر في شكواك ونقاضيك؟

- يا مولاي! هذا هو بالضبط ما أشكو منه. إذ مهما حلت الريح في مكان فلا أستطيع الثبات هناك وأُلقَى إلى بعيد.

١٧. لا تأتِ إن لم تكن أنا

طرق أحد العشاق باب حبيبته، فنادت الحبيبة من داخل البيت:

- من الطارق؟

- ألم تعرفيني؟ أنا عاشقك الحزين المملوءة عيناه بالدموع، فافتحي لي الباب.

ولكن حبيبته صاحبة الدار لم تعجب بهذا الجواب وقالت:

- اذهب وابتعد، ليس الآن وقت زيارة.

رجع العاشق حزينا أسفا، وتجرع آلام الفراق أياما عديدة حتى ذبل مثل شمعة محترقة. وبعد أيام عديدة رجع وطرق الباب مرة أخرى بكل أدب:

صاحت الحبيبة من الداخل:

- من في الباب؟

- أنتِ في الباب أيتها الحبيبة. لا يوجد هنا أحد غيركِ!

عندئذٍ فتحت الحبيبة الباب وقالت:

- لا يمكن لخيطين الدخول معا في سَمّ الخياط، لأن سَم الخياط واحد. كذلك لا يتحمل هذا الباب وجود اثنين. ما دمتَ قد أصبحتَ أنا، فمرحبا بك.. تعال وادخل.

١٨. مُرِ الريحَ

أسرع رجل وقت الضحى إلى النبي سليمان عليه السلام وقد أربد وجهه من الانفعال، فسأله سليمان عليه السلام عن أمره وعن سبب خوفه فقال الرجل:

- لقد نظر إليّ عزرائيل نظرة خلخلت مفاصلي وطار عقلي من رأسي.

- حسنا، ماذا تريد مني؟

- أرجوك يا نبي الله أن تأمر الريح لكي تأخذني إلى الهند فأنقذ نفسي.

أمر النبي سليمان عليه السلام الريح فحملته إلى ديار الهند.

في اليوم التالي عندما زار عزرائيل عليه السلام النبي سليمان سأله سليمان عليه السلام:

- لماذا أرعبت ذلك المسكين بنظراتك الغاضبة؟

قال عزرائيل عليه السلام:

- لم أنظر إليه بغضب بل بحيرة، لأن الله ﷻ أمرني أن أقبض روحه في ذلك اليوم في الهند. وعندما رأيته البارحة هنا تعجبت كثيرا وقلت في نفسي: لو ملك هذا الرجل جناحين لما استطاع الوصول إلى الهند في هذه الفترة القصيرة. ثم عندما حان أجله وجدته في الهند وقمت بما أمرني الله تعالى به.

١٩. اللص وصاحب البستان

دخل رجل سرا بستانا وبدأ يهز الأشجار المثمرة ليأكل من ثمارها. فضبطه صاحب البستان ونهره:

- ألا تخجل مما تفعله؟ أليس عيبا ما تفعله؟

أجاب اللص الصلف:

- العيب هو ما تفعله أنت. لأنك تمنع مائدة الله من خلقه. البستان بستان الله والكرم كرمه والآكل عبده.

أمر صاحب البستان خدمه بإحضار حبل، ثم ربطوا اللص بجذع شجرة وبدأ صاحب البستان بضربه بالعصا.

بدأ اللص يصرخ من الألم ويقول:

- ألا تخشى الله وتضرب رجلا بريئا مثلي؟

قال صاحب البستان:

- وماذا عملتَ؟ عبد من عباد الله يضرب بعصا الله ظهرَ عبد آخر. العصا له والعبد له والظهر له. أما أنا فلا أفعل شيئا سوى تنفيذ أمره تعالى.

- حسنا، حسنا... أعترف بذنبي وأتوب إلى الله.

هل ينبت الشوك سمسما؟

كان لقمان الحكيم سيد . وكان دائم الإساءة إلى كل من حوله، ومع ذلك كان يرى أن الجنة من نصيبه دون غيره. فقال للقمان مرة:

سأَنزل اليوم إلى المدينة. أريد منك أن تحرث المزرعة جيدا ثم تزرع فيها السمسم.

وفي العصر عندما رجع الرجل من المدينة هاله ما رأى، فقد كان لقمان يزرع الشوك بدلا من السمسم فصاح به غاضبا:

ماذا تفعل، ألم آمرْك بزرع السمسم؟

أجابه لقمان بهدوء:

لا تقلق، مع أنني أزرع الشوك إلا أنني آمل أن ينبت منه السمسم.

- أيها المغفل! هل هناك من رأى شوكا يُنبت سمسما؟

- ولكنك منذ سنوات وسنوات وأنت تزرع الشوك في الدنيا، ومع ذلك تأمل دخول الجنة!!

أبيات مختارة

المصادر التي استقينا منها هذه الأبيات هي: عاملْ جلبي أوغلو، المثنوي الشريف، الترجمة الشعرية للمثنوي (نحيفي) الأجزاء: (١-٣) من منشورات دار سونمز.

١. حمار أنت أم عيسى؟

انظر إلى عيسى

ولاتستجب لرغبات الحمار

ولا تجعل طبعك مسيطرا على العقل...

أنت الحمار وأنت الراكب في الوقت نفسه؛ الحمار هو طبيعتك غير المصفاة. أما العقل والروح الذي بهما تقود الحمار فيشبهان عيسى عليه السلام. اهتمِمْ بعيسى وليس بالحمار، ولا تفضل طبيعتك الشبيهة بالحمار على عيسى، بل اجعل بدنك خادما لروحك التي تسعى إلى الغايات السامية. والمفروض أن يخدم العبد السلطان، وليس أن يخدم السلطان العبد..

٢. لست أنت هذا اللباس

لا تحسب أن البدن هو الإنسان. فليس هو سوى لباس الروح. فهل فضلُ الإنسان في ملابسه؟ الفضل أو عدمه هو في روحه وليس في بدنه. إذن فاصرف نظرك عن ملابس البدن، وركز نظرك على داخل هذه الملابس. انظر إلى المعنى وليس إلى الشكل. ولو كان الشكل كافيا، لما كان هناك فرق بين الفاضل والشرير.

٣-٤. أنت البعير والعقل هو السائس

البعير قوي في حمل الأثقال، ولكنه لا يستطيع إنجاز شيء بنفسه بل يحتاج

إلى صاحب. للبعير عينان ولكنه يتركهما ويستعير عيني صاحبه. يضحي البعير بنظره وعقله من أجل رغبة صاحبه؛ إذ يتوجه إلى المكان الذي يرغب فيه صاحبه، وليس إلى المكان الذي يرغبه هو.

فبدنك أنت يشبه هذا البعير، أما عقلك فيشبه صاحب البعير. وهو الذي يوجه البدن إلى مختلف الجهات. لهذا فاتبع عقلك وليس بدنك. أما الأنبياء والأصفياء فهم لب العقول؛ حيث يوجهون العقول الأخرى مثل قافلة من البعير. والعاقل مَن رضخ للعقل إلى العقل السامي، وليس لعقله.

٥. ما قيمة السكَّر عند الحمار

كل نعمة تكون ذات قيمة عند أهلها. فالسكر غذاء ذو قيمة لدى الإنسان، ولكن لا قيمة له عند الثور أو الحمار، لأنهما لا يملكان قابلية تذوقه. والنعمة التي توهب لغير أهلها تشبه إعطاء السكر لحمار. إذن فسعة التذوق لكل إنسان هي حسب قابليته.

٦. يد الناضج ويد الفج

طريقة استخدام الإمكانيات من الفروق بين الشخص الناضج والفج؛ فلو لمس الناضج التراب لحوله إلى ذهب. فهو يستخرج حتى من الشر خيرا، ويحوِّل المستحيل إلى ممكن. فهو لا يشم رائحة الجيفة، بل يعجب بجمال أسنانها اللامعة. وهو كالشمس يُنضج النيّئ، وكالمسك يوزع عطره على الجميل. أما يد الفج فتُحوِّل الذهب إلى رماد، وتنشر شؤمها على من حولها. وعندما يسقط الشخص الفج يجر الآخرين ليسقطهم معه. ولأنه لا يعرف القيم الحقيقية للأشياء، تكون قيمة الإنسان الفاضل -الذي يزن وزنه ذهبا- أقل من قرش عنده، فيقع مُهانا في موضع حقير.

٧. هل يصبح السكر خبزا؟

التشابه الخارجي لا يعني التشابه في الداخل. فلو صنعتَ من السكر خبزا

فلن يكون طعمه طعم الخبز بل يبقى بطعم السكر. ولكي تعلم إن كان ما تريد أكله خبزا أم سكرا فليس عليك سوى تذوّقه. لأن العين لا تكفي ولا تملك نصيبا في التذوق. فلا تحسب كل ما تراه في صورة إنسان إنسانا. لأن هذه الدنيا مملوءة برجال بملابس، وملابس دون رجال.

٨. هل تشرب صورة السمك الماء؟

الماء بالنسبة للسمك هو الحياة، والبَر هو الهلاك له. ولكن إن رسمت صورة سمك على ورقة، فلا يكون عندها خبر لا عن الماء ولا عن البر، فالتشابه بينهما هو في الشكل فقط. ومعظم الناس لا يملكون من الإنسانية إلا شكلها. ولو نظرت إليهم من الخارج لحسبت أن لهم عينا وأذنا ولسانا. والحقيقة أن أبدان هؤلاء لا تملك أنفا يشم الخير، ولا أذنا ولا عينا ليسمع خير الكلام وليرى الجمال.

٩. هل يتلوّث الضوء؟

إذا سقط ضوء الشمس على القاذورات فهل يتلوث منها؟ فمن كان بطبيعة الشمس فلا تضره مجالسة السفلة وقبيحي الأخلاق. فكما أن الشمس التي يقع ضياؤها على الأرض هي في علياء السماء، كذلك فإن مقام رجال الحق الذين يتجولون بين الخلق هو مقام رفيع.

١٠. هل توقَد الشمعة في النهار؟

إن أوقدتَ شمعة في عز النهار فهذا يدل على أنك تقول: "إنني أعمى ولا أبصر". وما ذا يجني الخفاش من ضوء الشمس؟ فهو لا يسند العمى لنفسه بل للشمس. يا أيها الإنسان الذي يريد الاستضاءة بشمعة العقل بعد أن أشرقت شمس الوحي! لا عيب ولا قصور في ضوء الشمس، بل القصور في عينيك أنت!

وبتعبير الرومي: إن ما تستفيده من الشمس هو حرارتها فقط.

"لا يكون للأعمى أي نصيب من ضوء الشمس الذي ينير العالم كله. فنصيبه

كله من الشمس هو الحرارة التي يحسها في ظهره. للشمس فوائد لا تعد ولا تحصى. فهل يجوز أن تنظر إليها كموقد فقط؟ هذا هو ما يفعله عديم العقل والإدراك. فهو يهبط بكل شيء نفيس إلى مستواه هو، فيحسب الشمس مَوقدا والذهب قرشا".

١١. أيُّ عَمًى هذا!

البصر والعمى على أنواع عديدة. فيا ويح عين ترى الذرة ولا ترى الشمس، تعرف البعيد وتجهل القريب، تدرك الأمور التافهة وتغفل عن الأمور الجليلة. والمخلوق بالنسبة للخالق أضأل من ذرة. والعمى الحقيقي هو رؤية المخلوقات والغفلة عن الخالق.

١٢. مَن اشترى برخيص باع برخيص

قيمة كل شيء هو بقدر ما تدفع له من ثمن. فما يورث من أب وجد لا قيمة له. لأن من حصل على شيء بثمن زهيد مستعدٌ أن يبيعه بثمن زهيد. فكيف يعرف الطفلُ قيمة اللؤلؤة التي عثر عليها في الطريق؟ لذا يَستبدل قطعةً من الخبز بهذه اللؤلؤة الثمينة -التي تساوي كنزا-. إن أردت معرفة قيمة اللؤلؤة فاسأل الغواص الذي يغوص قاعَ البحر، أو اسأل بائع اللآلئ.

والحقيقة أن هذا الطفل هو أنت، واللؤلؤة هي الدين الذي ورثته عن آبائك وأجدادك. لقد وجدتَ هذه اللؤلؤة جاهزة في مهدك. وهذا هو السبب في جهلك لقيمتها.

١٣. الذهب الخالص يحنّ إلى الشمس

الليل فرصة جيدة للمزيّف وسوء طالع بالنسبة للذهب الخالص؛ ففي الظلام يختلط الخير بالشر، والذهب المزيف بالذهب الحقيقي. والذهب المزيف يتمنى أن يدوم الليل ولا ينتهي لكي لا يظهر زيفه للعيان. أما الذهب الخالص والحقيقي فهو عاشق للنهار، لأنه سيتخلص من غيره وتُعرف قيمته ومقامه.

فالليل هو الدنيا، وأما الآخرة فهي النهار. ففي هذه الدنيا يختلط الحق بالباطل والشر بالخير والظلم بالعدل. أما في يوم الحساب فيوضع الميزان الذي يعرف به قيمة كل إنسان واحدا واحدا. فذلك اليوم هو يوم أصحاب القلوب الذهبية، وليس المزيفة.

١٤. علْمك مجرد صبغ

هناك نوعان من الزينة ونوعان من العلم؛ فالوجه المزين بأصباغ التجميل يبدو على حقيقته في أول غسل للوجه، حيث تتساقط الأصباغ. أما زينة الوجوه التي زينها الخالق فهي باقية.

وكذلك العلم؛ فهناك العلم الصحيح، وهناك العلم الشبيه بالأصباغ المجمِّلة. فالعلم الآتي من الوحي الإلهي هو الصحيح الباقي. أما العلم المكتسب من الكتب والأساتذة دون هضم جيد فهو يشبه أصباغ التجميل، يوجد اليوم ولكن لا غد له. إذن فاطلب الجمال الباقي واطلب العلم الحقيقي.

١٥. الصوفي يركض وهو في مكانه

يبدو الكثيرون وكأنهم يركضون وهم في الحقيقة واقفون في مكانهم. وهناك من يركض وهو واقف. فالرجل واقف في السفينة، ولكن السفينة مسرعة لإيصاله إلى هدفه المنشود. والريح تدفع السفينة وتسرع بها. فقم أنت بفتح أشرعتك واملأها برياح العشق لكي توصلك إلى الحبيب وأنت واقف. كما أن المرشد بمثابة السفينة التي توصلك إلى الحبيب. فإن كنت قد ركبت مثل هذه السفينة فلا تخش من الوقوف في مكانك ولا تخش الضياع في الطريق.

١٦. الجزار لا يخاف الشاة

لا يمكن أن تكون الشاة ندا للجزار. فالجزار لا يخشى من كثرة الشياه بل يفرح بها. فالمهم هنا هو القابلية والصلاحية. والنجوم وإن كانت أعدادها كبيرة فهي لا تستطيع الوقوف أمام الشمس. لذا فقوة الواقفين وقدرتهم ضد أهل الحق ورجاله هي كقوة الشاة أمام قوة القصاب.

١٧. العلم كخاتم سليمان

العلم من ناحية حقيقته وقوته يشبه خاتم سليمان، فهذا الخاتم هو الذي جعل من سليمان سليمان ومكنه من إدارة بلده. وكل شيء في الدنيا يرجع إلى المعرفة. إذن فهذا العالم جسد والعلم روحه.

١٨. ابحث في المكان الصحيح

العاقل الأريب هو الذي يبحث عما يريده في المكان الصحيح. فلو فتحتَ ألف صندوق لما وجدتَ اللؤلؤة إلا في صدفها. إذن فابحث عن لؤلؤة العلم عند العلماء الذين صاروا أصداف للآلئ. فإن لم تفتح الصدفة فلن تعلم ما إذا كانت فيها لؤلؤة أم لا. أما أفواه العلماء الحاملين للآلئ مطبقة كالصدفة، فحاول أن تفتحها لتظهر اللآلئ للعيان.

١٩. العقل مرساة لك

السفينة دون مرساة تلعب بها أمواج العواصف ولا تعرف أين سترسو. ومرساة الإنسان في عواصف هذه الدنيا هي عقله. فحاول أن تكون صاحب عقل جيد لكي لا تتطوح يمينا وشمالا.

٢٠. الميزان لا يزن الجبل

أيُّ ميزان يستطيع وزن الجبل! الفشل حليف من يحاول هذا. فيا ميزان العقل المغرور الذي لا يعرف حده! أين أنت من قدرة وزن جبل الحقيقة؟! فلو دخلت تحت ذلك الجبل لتزنه لن يبقى منك أي أثر. إذن فاعرف عجزك ولا تتجاوز حدك. يقول الشاعر ضياء باشا:

ليس المطلوب من العقل الصغير إدراك المعالي
لأن هذا الميزان، لا يستوعب وزن هذا الثقل.

٢١. هل يمكن التفيوء في ظلال العقل؟

صحيح أن الظل لا يفارق الشمس، فهما مقترنان وجودا. ولكن هل تتساوى

قدرة الشمس وقوتها مع الظل؟ الشمس تضيئ وتغذي وتُنمّي، بينما الظل لا يملك شيئا من هذا القبيل. والعقل نابع من قدرة الحق تعالى، ولكنه بالنسبة إليها كالظل. إذن فيا أيها المغتر بعقله! اعرف حدك ولا تعاند الشمس.

٢٢. العقل ليس بالسن بل بالنضج

عقل الإنسان ومعرفته حصيلة السنين. ولكي يمتلئ مخزن العقل يجب مرور مواسمِ حصاد عديدة. الشيب في شعر الإنسان ولحيته إشارة إلى أنه شاهد الشيء الكثير وملأ خزانة عقله بتجارب وعلوم عديدة. ولكن إن لم يكن في نية الإنسان التعلم وقام بإقفال أبواب مخزن عقله، فماذا تفيد السنوات ومواسم الحصاد التي مرت؟ لا يوجد إنسان بعمر إبليس، ولكنه لا يزال في نفس الجهل والكفر الأسود الذي كان عليه في البداية. إذن فكن لائقا بسنك من ناحية العقل والعلم، ولا تجعل شعرك ولحيتك شاهدي زور.

٢٣. معنى التعقل

ليس التعقل أن تعلم كل شيء. فعقل المريض لا يستطيع شفاء صاحبه ولكنه يستطيع في الأقل إرسال صاحبه إلى الطبيب. والمعالجة وظيفة الطبيب، ولكن لا يستطيع كل مريض العثور على الطريق المؤدي إلى الطبيب. إذن فإن لم تكن طبيبا فأظهِرْ ما يكفي من العقل للعثور على طبيب.

٢٤. الموضع الذي لا يفيد فيه العقل

العقل رائد إلا في الطريق الموصل إلى الحبيب. فالشوق والعشق هما اللذان يوصلان إليه. العقل يقول لك: تمهل، قف، فكّر، أشفق على نفسك... أما العشق فهو يأمرك بالموت في سبيل الحبيب. إن كنت ترغب في الوصال فلا تتبع العقل بل اتبع العشق. فإذا ضحيت بالعقل في هذا السبيل فسيهب لك الحبيب ما هو أفضل منه. وبدلا من عقل واحد سيهب لك ألف عقل، وعمرا خالدا مقابل عمر واحد. أليست هذه هي العقلانية؟

٢٥. كُنْ أذنا صاغية ينطلق لسانك

السؤال والجواب نوع من البيع والشراء ونوع من العرض والطلب. لأن المعرفة متعلقة بالطلب عليها، وأي سلعة لا تجد لها طالبا سلعة ضائعة. والذي يشجع الخطيب على الحديث هو شوق المستمعين وعشقهم وشدة رغبتهم. وحتى الحليب في الضرع يزداد أو يقل حسب مهارة اليد. والفم يتكلم حسب الأذن. فإن اشتاق المستمعون انقلب الخطيب العَيِيُّ إلى بلبل صداح وبدأ ينثر اللآلئ. إذن فليكن كلك سمعا تجاه الأمور الجيدة لكي لا يجف لسان الحكمة.

٢٦. مَن يصمت ومَن يتكلم؟

النهر المتدفق لسان ينطق بالحقائق التي توصل إليها، ولكنه لا يزال يتدفق لأنه لم يصل بعد إلى مبتغاه.

أما البحر الذي هو نهاية لجميع المياه فهو هادئ وساكن، لأنه لم يبق هناك طريق بعده. أي إن الحقيقة وإن صمتت إلا أنها تتكلم وتهتف بلسان حالها. إذن فلا تصغ لما يقال، بل انظر إلى الحقيقة. ولا تراقب النهر بل البحر.

٢٧. الثروة غطاء رأس الأصلع

يشبه المال والثروة غطاء الرأس، ولا يحتاج إلى هذا الغطاء إلا رأس الأصلع. فماذا يعمل من يملك شعرا ذهبيا على رأسه بغطاء الرأس؟ والمال مثل العصا، والعصا تليق بالأعرج وبالشيخ. أما الشاب الشجاع الذي ينطلق كالغزال فمن العار عليه حمل العصا. الكنز أفضل من صاحب الكنز. إذن، كن كنز ذهب لكي تبحث عنك الكنوز. ليست الدنيا أثمن منك. فدعها تركض وراءك.

٢٨. يا صياد الظلال

لكل شيء حقيقة وظل. فالطائر شيء وظل الطائر شيء آخر. فظله على الأرض وحقيقته محلق في السماء. الأحمق الذي يمسك بظل طائر يظن

أنه أمسك بالطائر حقيقة. في حين أن الطائر فوق الشجرة يعجب من حاله المضحكة.

فيا أيها الأحمق الذي يحاول صيد الدنيا إنما أنت ذلك الذي يصرف عمره كله خلف الظلال.

الغصن المحمل بالثمار بالخارج وأنت تحاول الحصول عليه من ظله الواقع على جدار الكهف.

ذلك الظل هو هذه الدنيا، أما الآخرة فهي ذلك الغصن الحقيقي. هدف الظل هو التذكير بأصله الحقيقي. فاترك الظل واهتم بالأصل والجوهر.

٢٩. اللباس حسب القامة

قال: "إن ألطافي حسب ما يستحقه الإنسان،

فأنا أفصِّل لباسا حسب الأبدان.

فيا أيها الطالب لنعم أكثر من المعطاة له! الألطاف الإلهية تأتي على حسب سعة كل إنسان؛ فكما أن تفصيل لباس طويل لقصير القامة ليس نعمة، كذلك هبة نعم أكثر مما يستحقه الإنسان ليست بنعمة. فهذا يشبه وضع إنسان لا يتقن الفروسية على صهوة جواد نافر. ففي هذه الحال سيسقط هذا الإنسان بعد فترة من فوق ظهر الجواد ويندم على ركوبه أشد الندم".

٣٠. لا حاجة للشمعة

إنما الغاية هي الضياء وليست الشمعة. وما قيمة الشمعة إلا لأنها واسطة لهذا الضياء. ولو شاء الله ﷻ لأرسل الضياء دون شمعة والنعمةَ دون وسيلة. عند ذلك يتم الضياء دون شمعة ويتم الشبع دون طعام والارتواء دون ماء. فإن كان الله تعالى قد وهب لقلبك شمسا كبيرة مشرقة فلا تحزن إن انطفأتْ شمعة في الخارج، واعتبر أنك فقدت قرشا ولكنك عثرت على ليرة ذهبية. تخيل أن الريح أطاحت بالغطاء الوسخ مِن على رأسك، ولكن وضعوا عليه تاجا ذا جواهر، وعند ذلك فافرح.

٣١. لن تجوع على مائدة الأسد

يا من طبيعته كطبيعة الثعلب! أنت على مائدة الأسد. فهل تخلو مائدته من اللحم الشهي؟ أي صيد تخلص من مخالب الأسد لكي تخشى الجوع هناك. أنت على تلك المائدة في حين أن عينيك تجولان وتبحثان عن جثة في الخارج. وهذا عدم احترام لصاحب المائدة. فإن لم تكن تملك صبرا عند انتظار اللحم الطري، فقم وانصرف عن تلك المائدة لكي لا تجعل الأسد مُتهما.

٣٢. كيف أهرب من نفسي؟

إن من له عدو يمكنه أن يهرب، فإذا ابتعد نجا بنفسه. ولكن وضعي وحالي مختلف تماما؛ لأن الهاربَ أنا والمطاردَ أنا أيضا. لقد أصبحت عدوا لنفسي وقطعت الطريق على نفسي. جانبٌ من نفسي يهفو إلى الخير والجانب الآخر يقف له بالمرصاد ويريد إعثاره. لا يُطهّرني شيء، لا النزول إلى قاع البحار ولا الصعود إلى السماء. فكيف يستطيع الإنسان الهروب من نفسه؟ إذن فما لم أُصلِح نفسي فلن أتخلص من هذا الهروب ومن هذه المطاردة إلى يوم القيامة.

٣٣. يولد الإنسان مرتين

يولد كل إنسان في هذه الدنيا مرة واحدة. أما أرباب الحق فيولدون مرتين. الولادة الأولى لابد لها من الأسباب والوسائل؛ فلا ولادة بدون أب وأم في العادة. ولكن هذه الولادة تشبه الولادة داخل السجن. وهناك أقفاص لا تعد ولا تحصى تحيط بالإنسان في عالم الأسباب-والمسببات. ثم يولد بعض أرباب الحق من هذا العالم المادي في عالم جديد، ويتفلتون من جميع هذه القيود الضرورية، ويدوسون عليها بأقدامهم.

والحقيقة أن هذه الولادة الجديدة هي الولادة الدائمة التي عرّفها "يونس أَمْرَه" في شعره عندما قال:

نولد في كل آن من جديد
فمَن سيسأم منا؟

وقلوب العاشقين الذين يولدون من جديد بحيرة من حليب. وهذا العالم الجديد بعيد عن الأضداد وعن الصراع وخالٍ من المساوئ. لا تَذبُل الزهور والورود هناك، ولا تسكت البلابل عن التغريد، ولا ينقلب الربيع إلى شتاء، ولا يبقى في هذه الولادة الجديدة من هوية ذلك الإنسان سوى ظله.

٣٤. لا تسودّ الشمس، ولا يتلوّث القمر

جبين الخير ناصع على الدوام ومرآة الحق مجلوة. السافل يرغب أن يسفل الآخرون، والأسود الوسخ يحاول توسيخ الآخرين. ولكن مهما ارتفع الدخان من موقد الحمام فلا تتضرر الشمس منه. والذي يحاول توسيخ جبين الشمس سيوسخ جبينه هو. ومهما نعق الغراب فلا يصل صوته إلى العنقاء. وهناك بين الناس مَن هو كالشمس ومن هو كموقد الحمام.. ومنهم مَن تشبه طبيعته طبيعة العنقاء، ومن تشبه طبيعته طبيعة الغراب. فالأنبياء والأولياء يشبهون الشمس والعنقاء، لذا فهم فوق أي إسناد للعيب. ولا تظن أن القمر يمكن أن يتلوث لأن نوره يسقط حتى على المزابل؛ فهو يتربع على عرش له في الأعالي. وإرساله للنور ليس من عجزه، بل من كرمه وجوده. وكذلك أرباب الحق لا تتوسخ أيديهم عندما يمدونها للسفلة. فهم رحمة للناس كالشمس والمطر والقمر.

٣٥. كن مستقيما تبلغ المنـــزل

القوس يحتاج إلى سهم مستقيم غير معوج. وما لم يكن السهم مستقيما فلن ينطلق بعيدا مهما وترت القوس بقوة. فيا أيها السالك طريق الحق كن كالسهم مستقيما في هذا الطريق بعملك ونيتك، لكي يطلقك مرشدك إلى ماوراء الوراء.

٣٦. اخش الحق ﷻ كي يخشاك الآخرون

يهب الله تعالى هيبة ووقارا لمن يخشاه بحيث تخشاه الأرض والسماء. فمن يخش الحق تعالى يتخلص من كل خوف وخشية. ومن يُحرم من هذا الملجأ يبدُ له كل العالم أعداء.

٣٧. إن أردت الاحترام

يحصد كل إنسان ما يزرعه؛ فمن كان محترما قوبل بالاحترام، ومن كان خيّرا قوبل بالخير، ومن كانت شفتاه معدنا للخير والاحترام فكيف لا يكون له نصيب من لذتهما؟

٣٨. يا بائع المخلّل

أيها العابد الذي يشكر ربه بوجه عابس على الدوام. إن كان شكرك لنعم الحق فما هذه هي الطريقة التي تشكر بها! ولو كان الشكر هكذا ، لكان الخل أكبر الشاكرين.

ألم تسمع قول الشاعر مخاطبا لمن ألقى إليه التحية بوجه عابس:

رددنا سلامك إلى وجهك العبوس

ليضحكْ وجهك قليلا ويشكرْ

وإلا أخذوا شكرك فلطموا به وجهك العابس.

٣٩. حصائد اللسان

يا لساني، أنت مَن تغنيني وأنتَ من تهلكني، أنت مَن تُسعدني وأنت مَن تُشقيني. إن استعملتك بخير كنتَ حصادا، وإن استعملتك في سوء كنتَ برقا حادا. أيها اللسان الأحمر كجمرة النار، لقد أحرقتَ حصادي وحولتَه إلى رماد. ما أحسن ما وصفك به "يونس أمره" بشعره البديع:

هناك كلام يوقف حربا

وهناك كلام يطيح رأسا

هناك كلام يحول الطعام الفاسد

إلى سمن فوقه العسل.

٤٠. لا تكن أصلع ومزهوا في الوقت نفسه

الغرور قبيح، ولكن غرور الفقير أقبح. فهذا يشبه لبسك ملابس مبتلة في يوم

بارد مُثْلِج. إذن فلا تضف رقعة فوق رقعة على ملابسك، ولا تضف عيبا إلى عيوبك، ولا تضف الكبر إلى صلع رأسك.

٤١. الحوض وسبيل الشرب

السلطان يشبه الحوض وموظفوه كأنابيب المياه. فلا يسيل من الأنابيب إلا ما هو موجود في الحوض سواء أكان جيدا أم خبيثا. إذن فلا تسند الخير أو الشر إلى هذه الأنابيب بل إلى الحوض، لأن الأنابيب تابعة للحوض. وكما تتبع الأنابيب الحوض، يتبع الموظفون الحكامَ ويرتبطون بهم. لذا فتُسأل الشاة التي افترسها الذئب على ضفاف نهر دجلة من عمر ﷺ وليس من العمال والموظفين.

٤٢. إذا نعق الغراب سكت البلبل

لكل موسم وإقليم زبون مختلف. فالربيع يدوي بتغريد البلابل. أما سلطنة الشتاء فهو للغراب. وعندما ترتفع أصوات الغربان فالأحرى بالبلابل أن تسكت وتنزوي. أي إن الخير مع الخير والشر مع الشر. فكما يحن البلبل إلى الربيع كذلك الأبرار يعشقون العدالةَ والجمال. أما ربيع الغربان فهو الشتاء. فما إن يبرد الجو قليلا وتهبُّ الرياح الباردة حتى تجتمع الغربان حالا من مخابئها وتبدأ بلعن الربيع. وهكذا، فما يليق بمملكة الربيع هو البلبل، وما يليق بمملكة الشتاء هو الغراب. وأنت تملك في قلبك ربيعا وخريفا، فلا تهمل بستان قلبك وحديقته لكي لا يخلو المكان للغربان.

٤٣. الصعود الذي يُسفِل

هناك فرق بين هبوط وهبوط.. فهناك هابط يدرك وضعه.. ولكن الهبوط الحقيقي هو عند الإنسان الذي كلما هبط إلى الأسفل حسب أنه صعد إلى الأعلى. إنَّ ستْرَ الآثم إثمَه مزية، أما البائس فهو الذي يفتخر بمعايبه وترهاته، وهو يزهو ويقول للناس أجمعين: "انظروا، ما أجمل قروني!!" فيريهم معايبه.

٤٤. إلى أين تجري؟

كثير من الناس يبحثون في البعيد عن شيء هو قريب منهم. الكنز تحت عتبة الباب، ولكن الحرص وقلة الصبر تحث الإنسان للسفر إلى البعيد للبحث عنه. ومع أن الطبيب قريب منه، إلا أنه يذهب للبحث عنه في كل مكان. فهو لا يرمي سهمه للصيد، بل يرميه لما لا يستطيع سهمُه الوصول إليه. وهكذا يبعثر رأسمال العمر لتذروه الرياح، ولا يبقى لديه سوى تعب الطريق.

٤٥. هل الذنب ذنبك أم ذنب الحبل؟

أيها الراغب الكسلان! ها هو العمود والدعامة، وها هو الحبل! إن كنت تريد الصعود فأمسك بالحبل واشدد عليه. ولكن إن كنت لا تملك مثل هذا الجهد فلا تبحث عن أعذار واهية، ولا تقل: "الحبل غير متين، والعمود مزيت ومدهون". الظاهر أنك راغب زائف، لا توجد لديك نية الصعود والارتفاع، ولا تريد بذل العَرَق في هذا السبيل. فتفتشُ عن أعذار. اعرف أن كل ارتفاع معنوي يشبه هذا الحبل. وكلام الله ﷻ هو رأس هذه الحبال، فإن اعتصمت به تخلصت من هوة النفس. وإن كنت لا تزال داخل الحفرة فلا تفترِ على الحبل، بل لُمْ نفسَكَ.

٤٦. كيف يدخل الضوء إن لم تفتح نافذتك؟

أيها المسكين! أنت تغلق نافذتك ثم تسدل الأستار عليها، وتَأْمُلُ بعد ذلك رؤية النور من القمر! البدر في كبد السماء يلمع، ولكن ما فائدته لك إن لم تسمح لضوئه بالدخول إليك. فإن أردت أن تتنور في ليل هذه الدنيا بنور الإيمان فافتح نافذة قلبك للحق وللحقيقة، وارفع الغطاء عن عينيك.

٤٧. إن كنت تريد السرقة

يا سارق النعال! إلى متى ستصرف عمرك في مثل هذه الأعمال الدنيئة؟ وإلى متى ستهدر نفسك في مثل هذه الأهواء السافلة؟ وإذا ألقوا القبض عليك

قُطعت يدك من أجل نعلة، أو قُطعت رقبتك. وإن كان لابد للك من السرقة فاسرق -على الأقل- ياقوتة لكي تكون معادلة لعقاب السرقة. ولا تهدر أهواءك وأطماعك في أشياء تافهة تشبه لعب الأطفال، بل وجهها للآخرة وللحياة الأبدية لكي تكون بديلا لعمرك الذي صرفته في هذه السبيل.

٤٨. الهمّ يجلب الدواء

أتحسب أن الهمّ أمر سيء؟ الهمّ يجلب الدواء. والهموم والآلام تشبه الحفرة، أما الدواء فكالماء. فحيثما وجد الهمّ أسرع إليه الدواء، وحيثما وجد مكان منخفض سال إليه الماء. فافرح بهمّك، واعلم أنه مجلبة للرحمة الإلهية، لأن العناية الإلهية تتجلى حسب الحاجة. وكن مريضا لكي يشفيك، وفقيرا لكي يغنيك. ألا ترى أن ثدي الأم تكون يابسة ما لم يلد الطفل ذو الشفتين الحريريتين. وبعد أن يكبر الطفل ويترعرع يقال له: "ما دمت قد كبرت ولم تعد عاجزا، فكل الخبز". كن عاجزا كالطفل وافتح فاك للحق ﷻ بكل استسلام حتى تنهمر عليك نِعمٌ كالحليب من ثدي الأسباب.

٤٩. اتبع ولا تؤوّل

أيها الشخص الذي لا يبالي! لا تؤوّل الكلام الإلهي -الذي يجب ألا يُمس مطلقا- حسب أهوائك، بل أوّل نفسك. اتبع أنت القرآن ولا تجعل القرآن يتبعك. لقد نزل ليعدِّلك، فمحاولتك لتعديله وقاحة. فما أسخف محاولتك معالجة الطبيب الذي جاء لمعالجتك.

٥٠. تحرر من أطماعك

أيها الأسير لأطماعه! إن الذي يريك ذلك الفحم الأسود كنار مشرقة هو أطماعك. لأن الطمع يريك الحجر ماسا.. قد يأخذ منظر النار المشتعلة بلبك، ولكن لا تهتم بلون النار، بل بما تفعله عندما تقرّب وجهك منها. لا توجد نار لا تنطفئ ولا أهواء لا تنتهي. ولكن ما يتخلف عن النار هو الفحم، وما يتخلف عن الأهواء هو الخجل وسواد الوجه. حذار وتنبه!

٥١.ما لون الموت؟

يا مرآة الموت! ما أغربك من حرباء! تأخذين لون كل وجه ينظر إليكِ. تَبدِين جميلة للجميل وقبيحة للقبيح.. صَديقة للصديق وعدوة للعدو.. وعندما سَألتُ الرومي عن سبب ذلك أجابني فقال:

يا أيها المرتعب من الموت!
لا يوجد لون للموت في الحقيقة؛
فالقبح الذي تراه فيه هو قبحك
ولكن هذا القبح من آثارك
وأنت الذي خيّطتَ الملابس القبيحة التي تلبسها هي
والبقعَ السوداء على وجهك وعينيك
من صنيعك أنت.
والآن ارتَفعَ ستار الحياة
فواجهتَ في مرآة الموت ماهيتك الحقيقية
لذا لن تُقبَل في الجنة بوجهك الأسود
وبوضعك السافل هذا..
والذي يخيفك هو لسان الموت الذي يهتف بالحقائق
فما يليق بك هو أن تخاف من نفسك لا من الموت.

٥٢. مَن صديقك في القبر؟

أيها الراحل إلى القبر! كنت تفخر في حياتك بكثرة أصدقائك. أين أضعتهم في ذلك الطريق الطويل؟ لقد أدار آخر صديق لك ظهره عند باب القبر. لم يبق معك الآن من صديق أو رفيق في القبر سوى رفيق واحد: عملك... فإن كان هذا الرفيق سيئا فالويل لك. وإن كان خيّرا فما أسعدك! فهو شاهدك يوم الحساب ومحاميك، وهو مطيتك على الصراط. فحاول أن تدخل إلى القبر مع هذا الرفيق.

٥٣. لا تعشق ميتا

أيها العاشق الحائر! ألم تجد من تعشقه سوى الأموات؟! اعلم أن كل ما تحبه في هذه الدنيا فهو ميت. ما دامت الزهرة تذبل سريعا والوجوه الحلوة الوردية تفقد نضارتها. فلا تعتبر الجمال الذي ينسحب من بين أصابعك جمالا. فالحي هو اللائق بالحب، والحي القبيح أولى من الميت الجميل. فما دام الأمر كذلك، فاعثر على جميل لا يموت ولا يذبل لكي تعشقه، واحصر محبتك وعشقك فيه وحده.

٥٤. مَن ذا يعشق العاشقُ؟

يا من يريد خبزا دون حصاد، وأخذا دون عطاء، وأن يُحَبَّ دون أن يَحِبّ!.. اعلم أن العطاء هو المنال، وأنك إذا ما أحببتَ الناسَ أحبوك. حتى السلاطين ينحنون لمن ينحني لهم. لأن كل إنسان يثمل بخمره، وكل حبيب يعشق محبه ويستعد دائما للتضحية في سبيله. والظامئون هم الذين يتلهفون على الماء العذب كما أن الماء أيضا يبحث عن هؤلاء العطشى.

٥٥. المياه أيضا تعطش

شفتا العطشان في حسرة للماء العذب، ولكن الماء أيضا يشتاق إلى شفاه العطشى. الطفل يعشق الثدي، والثدي يعشق الطفل. الفقير المحتاج يسعى نحو يد كريمة تجود، أما الكريم فينتظر من يمد له يد الحاجة. فمقتضى الفقر هو الطلب، واللائق بالغنى هو العطاء.. وبمقدار حاجة الآخرين يتطلع الكريم للعطاء. وأكرم الكرماء هو الله ﷻ، وهو يدعو عباده إليه قائلا: "ألا سائل يعطى ألا داع يجاب ألا سقيم يستشفي فيشفى ألا مذنب مستغفر فيغفر له"(رواه الدارمى).

٥٦. المؤمنون كالجسد الواحد

الجسد واحد، ولكن له عدة أعضاء. والروح هو الذي يجمع ما بين الأعضاء ويجعل منها جسدا واحدا. فإذا مات الروح لا يبقى أي عضو من الأعضاء، بل

يموت كلها. وهكذا المؤمنون. فهم بمثابة أعضاء في جسد كبير. لماذا؟ لأن لهم روحا مشتركا هو الإيمان. فكم من قلوب لا تجتمع وإن صرفت كنوز الأرض، ولكن الإيمان جمع بينها فأصبح أصحابها إخوة. وإذا انقطع حبل الإيمان انفرط عقد الجسم.

٥٧. وحدة اللغة أم وحدة القلوب؟

ليست وحدة اللغة هي المهمة، بل وحدة القلوب. فترى أن الهندي يتفاهم مع التركي بسهولة، بينما ترى بالمقابل أن تركيين لا يقدران على التفاهم فيما بينهما رغم وحدة لغتهما. ومن ثم فإن تقارب القلوب أفضل من تقارب اللغة.

٥٨. إذا ضاق بك الحذاء فامش حافيا

من البدهي أنه لابد لكل قدم حذاء ولكل ظهر قميص. ولكن إذا كان الحذاء ضيقا يفضل الإنسان المشي حافيا. وبيت الإنسان ووطنه أفضل من الغربة، ولكن الوطن يصبح أحيانا في وضع لا يطاق. وكما قال الشاعر: "تصبح الغربة أحيانا وطنا، ويصبح الوطن أحيانا غربة". ما الحذاء؟ هو عند الحاجة؛ الصديق والصاحب والأهل. إذن فليتساءل الأصدقاء والأهل: "فأي حذاء أنا؟ هل مهمتي التضييق أم الحماية؟ ثم أي بيت بيتي؟ أهو بستان جنة، أم موضع آلام؟..".

أيها الأهل وأيها الأزواج والزوجات!.. انتبهوا واحذروا..

٥٩. قد يضر الصديق

يا صاح! لقد اختلط عليك هدفك، فلم تعرف الصديق من العدو. إن ما تدعوه صديقا وتتعلق به يلهيك ويعوقك عن طريقك. فكيف يكون من يُبعدك عن الحقيقة والجنة والجمال صديقا لك؟! الصديق الحقيقي من يكون لك بابا وليس ستارا.. مَن يوصلك إلى الحق وليس مَن يقطع عليك الطريق. أما الذي يسوقك إلى الحق ضاربا فهو صديق لك وإن بدا لك عدوا، لأن مَن كان وسيلة إلى الخير فهو خير.

٦٠. الجوع إلى العبادة

إن طعم ومذاق وقيمة ما نحصل عليه هو بقدر مشقة الحصول عليه، ومشقة الطريق إليه. فمن لم يذق مصاعب الصحراء ولم تجف شفتاه من حرها وشمسها لا يعرف بحق لذة ماء زمزم. ومن لم يزيّن خياله بالكعبة لم يعرف قدرها. فاحترق أولا لكي يطفئك الماء، وجُع لكي تحس بلذة الخبز. واشتقّ لكي تفرح عندما تحصل على ما تشتاق.

٦١. أنواع الجود

هبة كل إنسان على قدر جوده. ما يليق بالكريم هو الجود من ماله. هذا الجود مستحسن من قبل الآخرين، وليس مقبولا عند العاشقين. لقد كان عمر بن الخطاب ﷺ كريما جدا في سبيل الحق، ولكن جوده يبدو قليلا عندما نقارنه بجود أبي بكر الصديق ﷺ وسخائه. أيها الكريم! مهما أعطيت وبذلت فلن تستطيع أن تسابق الضوء.

فكما قال الشاعر "فضولي":

"أنت تقدم أضحية للحبيب،

بينما يقدم الحبيب نفسه أضحية.

الناس يقدمون أضحية واحدة كل عام،

وأنا أقدم نفسي أضحية كل ساعة وكل يوم".

٦٢. أعط القليل وخذ الكثير

أيها الأحمق المتشبث بالبدن والمتعلق به! خذ العبرة من بلقيس، وافرش ذلك المُلك على طريق سليمان عليه السلام. فهل يعقل أن يدعك شخصية مثل سليمان عليه السلام دون مقابل؟ أين ملكك من ملكه! أنت تُعطي ترابا فهو يعطيك اللؤلؤ والمرجان، ولكن لا تنس أن هناك "سليمان" فوق سليمان. وما النبي سليمان عليه السلام إلا عبد عاجز على عتبة بابه. أنت وسليمان وكلما تظن أنه ملكك إنما هو

ملكه ﷻ. فاجعل بدنك وجلدك وروحك ترابا في طريقه، وضَع رأسك على عتبة بابه لكي يهب لك أبدانا ورؤوسا خالدة.

٦٣. هل النهر أسوأ من الوعاء؟

أيمكن أن يحتوي وعاء على شيء لا يوجد في النهر؟ وهل يوجد شيء في البيت دون أن يكون موجودا في المدينة؟ الوعاء هو الدنيا والنهر هو القلب. وأما الدنيا فهي حجرة ضيقة، بينما قلبك فهو مدينة مملوءة بمختلف الأشياء إلى درجة مذهلة. أنت عطشان للماء الآسن في الوعاء، ولكن هناك المزيد من الماء العذب في نهر قلبك. الأشياء الجميلة الموجودة في البيت صنعت من قبل فناني المدينة. اذهب إلى السوق لترى أشياء أجمل منها بكثير. والخلاصة أنه ما من شيء لذيذ في الخارج إلا ويوجد أفضل منه في القلب. فأروِ عطش شفتيك لا من وعاء الماء، بل من ماء النهر. ولا تلهُ في هذه الغرفة الضيقة، بل تنزه في تلك المدينة الواسعة التي لا أول لها ولا آخر.

٦٤. هل العطر من الوردة أم من زيتها؟

زيت الورد مختفٍ في الورد وقد عجن وجوده بوجود الورد. إذن من أين يأتي ذلك العطر؟ أمن الورد أم من زيت الورد؟ سواء عليك أَشَممت ذلك العطر من الورد أم من زيت الورد فالأمران سيان. ولا يُعرف أين تنتهي مهمة الورد وأين تبدأ مهمة زيتها. فوجود البعض يشبه الورد وزيت الورد في آن واحد. فكم من العارفين أذابوا ذواتهم في ذات سلطان الورود، الأمر الذي جعل أنفاسهم تفوح برائحة ذلك الورد. ومنهم من صار مظهرا للخطاب الإلهي القائل: "وإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها"(رواه البخاري).

٦٥. ابتعِدْ عن كثرة الوسطاء

القنديل يزيد الضوء، ولكن إن وضعتَ قنديلا داخل قنديل طمستَ الضوء. و الماء قبل أن يصل إليك من النهر يمر من وعاء إلى وعاء حتى يفقد طعمه ولونه

الأصلي. إذن حاول أن تأخذ الضوء والماء من المصدر. فكلما كثر الوسطاء بينك وبين القرآن والرسول ﷺ تعكر لون الحقيقة. والحقيقة أمامك كالشمس الساطعة، غير أنك تسأل الجميع عن العنوان، فتطيل طريقُك. وهناك ألف باب وباب بين العقل والحبيب، أما باب القلب فيوصلك مباشرة إلى الحبيب.

٦٦. لطفك جميل وقهرك جميل

يا من جفاؤه أجمل من السعادة، ويا من انتقامه أحب من النفس. أنا أعشق لطفك وقهرك. أليس من الغريب عشق مثل هذين النقيضين في آن واحد؟ ولكن هذه الغرابة هي في الظاهر فقط، ذلك لأنك جميل ولا يصدر من الجميل سوى الجمال. فتصنيف ما يأتي منك بأن هذا خير وذاك شر ليس إلا حولا في العينين.

٦٧. مَن الذي يقيك؟

أتظن أن الحراس أو الشرطة في الزقاق هم الذين يحفظون مالك وروحك من شر اللصوص؟ كلا، بل إنك مدين في أمنك لعدالة السلطان، لأنه هو الرأس وهؤلاء هم الأيدي والأرجل. والعدالة تبدأ من الرأس وليس من الجوارح. فهو الحوض وهؤلاء هم أنابيب الماء. فما يسيل من هذه الأنابيب إلا ما هو موجود في الحوض. فالسلطان هو اللائق بالحب وبالخوف وليس الحراس. إذن فاعلم أن الخير والشر هو من سلطان السلاطين فاستند إليه.

٦٨. إنكارك هو برهانك

أيها الملحد المنكر! أنت تشبه الشخص الذي يقول لمن يدق بابه، لا يوجد أحد في البيت. والذي يسمع صوتك يعلم أنك في البيت ويستمر على دق الباب. ومع أنك تنكر بكلامك، إلا أنك تبرهن بصوتك على أن أحدا يوجد في البيت.. إذن فكم هو عبث إنكارك لوجود الخالق مع أنك موجود. وما دام وجودك صوت ذلك الخالق وأثره فلا تستطيع إنكار الخالق إلا عندما تنكر وجودك أنت.

٦٩. لا تقل غدا

نرى أن الأحمق يقول دائما: بالأمس وغدا، ويؤخر كل عمل له حتى يضيع الأمس والغد معا. والحقيقة أن الأمس خيال، والغد وهْم، أما اليوم فهو بين يديك. إذن فاعمل الآن ما تريد عمله. ألا تعلم أن هذه الدنيا فانية وأنت فان؟ فمن يضمن أن يعيش إلى الغد لكي تضع له الخطط؟ إذن فالآن انثر حبوبك، وخِط ما تريد خياطته.

٧٠. خذ من الشمس إن شئتَ أو من القمر

سواء أأخذت النور من الشمس أم من القمر، فأصل ذلك النور هو من الشمس، وكل ما يلمع ويبرق في أجزاء المرآة يتحد بذلك المصدر. فلا تهتم بالوسائط ناسيا المصدر. كل الخير المعنوي والمادي وكل الفيوضات تخرج من مصدر واحد. فلا تحسب أنها تعود لفلان أو فلان... لا تبق دون واسطة، ولكن لا تنحبس فيها ولا تتقيد بها.

٧١. هل تعاند الصورةُ الرسامَ؟

كم يكون من العبث قيام الصنعة بعصيان صانعها ومحاولة تغيير تقديره؟ هل تستطيع الصورةُ التباهي أمام رسامها؟ أيها الإنسان! أنت أيضا كرسم في يد الرسام. فاعرف حدك وحدودك، ولا تنس أبدا أنك مخلوق، ولا تلوثْ عجزك بالغرور.

٧٢. اضحك كالوردة

يا من تعبس وتعترض على القدر لمجرد نزول قطرات دم من أنفك! ألم تعتبر من الوردة؟ لو نزعت أوراقها ورقة ورقة فستظل الوردة ضاحكة. الرضا بالحال شكر، والوردة في مقام الشكر على الدوام. ثم ألا تعلم بأن المضايقات التي تتعرض لها أنت، تكون سدا منيعا أمام مصيبة أكبر منها. إذن فليضحك وجهك على الدوام يا أخي.

٧٣. تحصد ما تزرع

يحصد كل إنسان في هذه الدنيا ما زرعه. فإن عملتَ خيرا رأيت خيرا. أما عاقبة مقارفة الشر فهي الشر. فهل يخرج شعير إن زرعت حنطة؟ وهل شاهدت حصانا ولد حمارا؟ إذن فلا تبحث هنا وهناك عن معاذير، لأنك لن تحصد سوى ما زرعته. فإن أردت كسب القلوب فازرع بذور الحب، وإن أردت الفوز بالجنة فلا تزرع الأشواك في الطرق.

٧٤. النهار مخبوء في الليل

حال الدنيا قائمة على الدوران الدائم. ففي طيات اليأس تختبئ الآمال. وفي أحضان الليالي تختبئ الشموس. وكل بداية هي نهاية، وكل نهاية هي بداية جديدة. كل ولادة خطوة نحو الموت. وما تحسبه موتا هو في الحقيقة ولادة جديدة. الأيام والليالي والحوادث بأجمعها كرة في يد القدر الإلهي ينسج منها مرة، وينقض غزلها مرة أخرى. وما هو محتمل أو مستحيل فهو بالنسبة لي ولك وليس بالنسبة للحق تعالى. فلا تحسب أنك ستموت إن نزف أنفك قليلا، ولا تحسب أن القيامة تقوم إن غابت الشمس. فلا ترتبطْ بالأيام وبالليالي، بل ارتبط بصاحبهما لكي لا ينفد أملك أبدا ولا ينتهي.

٧٥. شر بالنسبة لمن؟

لا يوجد هناك خير مطلق ولا شر مطلق، فالخير والشر أمران نسبيان. فما يبدو لك شرا يكون خيرا لآخر. فالسم موت لك وحياة للثعبان.. والزارع ينتظر المطر، أما صانع الطابوق فيريد أن تشتد حرارة الشمس. وصانع الكون خلق كل شيء بحكمة ووضع توازنا بين الأضداد. زاد بالكافر من قيمة المؤمن، وزاد بالقبح من جمال الجميل. فلا تعترض على الحكمة، واعلم أنه ما من شيء خُلق عبثا.

٧٦. إذا وجد العطر فالورد موجود

أيمكن أن توجد رائحة ورد في مكان ولا يكون هناك ورد؟ أو هل توجد

فقاعة في مكان ليس فيه خمر؟ إذا كان القِدر يغلي فذلك بسبب وجود النار، وآهات العاشق بسبب حرقته. وإذا كان هناك أثر فاعلم أن هناك صانعا. ولكن قد يكون الصانع خلف الأستار، فلا تنكرْ وجوده بحجة أنك لا تراه.

٧٧. ما العشق؟

سألني أحدهم: ما العشق؟ قلت: "كن أنا (أي مثلي) تدركْ". ومن أين لك معرفة العشق؟ والحال أنه لا يمكن تعلمه من قراءة الكتب والدفاتر. فرؤية الجمرات في الموقد والعسل في القنينة ليست علما، لأن هذا العلم علم ذوقي لا يعرفه إلا من يذوقه. ومن ادعى أنه يعلم فعلمه هذا مجرد ظن لا غير. وما دام الأمر كذلك فتعلم أنتَ الوقوع ممن وقع، والحرقة ممن احترق، وتنفَّسْ عطر العشق من أنفاس العاشق الملهوف. ثم ابدأ رحلتك من هذه الإشارات، واعشق إن كنت تريد معرفة العشق.

٧٨. الحبيب جنتك

إن كنت عاشقا فاعلم أن العلو والانحطاط، والثمين والرخيص حسب الحبيب. إن كنت في حفرة وكنتَ بالقرب من الحبيب فليس مهما، لأنك تكون آنذاك في علياء السماء. ولكن إن كنت في السماء ولكن بدون الحبيب، فأنت إذن في أسفل سافلين. لماذا؟ لأن من يرى الحبيب لا يبصر غيره. الحبيب هو الجنة، والجنة هي المكان الذي يوجد فيه الحبيب. والجنة دون الحبيب جهنم. فمن كان عند الحبيب فلا يشكو نقصا. وبدونه فكل ثروة عبارة عن وهم. فلا تهتم بالجاه والمنصب، بل اجتهد أن تجلب الحبيب إلى جانبك.

٧٩. الغم حلوى العاشق

يختلف الغم والأسى، والبهجة والسرور حسب صاحبه. فطريق العشق مملوءة بالبلايا والأشواك. ولكنها تبدو للعاشق هينة، لأن رجليه اعتادت على جروح الأشواك. وغير العاشق هو عاشق نفسه، فيداه ورجلاه أهم عنده من

الحب، لذا لا يستطيع الصبر على بلايا العشق ومصاعبه. أما العاشق فهو يعشق كل شيء في حبيبه، فإن كان ما يأتيه من حبيبه سما فهو ترياق في نظره، وما يلاقيه من آلام هو عين الدواء.

٨٠. انظر بعين العاشق

الجمال في النظر وليس في الشيء. فما يجعل الشيء جميلا هو الرغبة والعشق. والجمال يبدو قبحا في نظر المَلُول الضجِر. لذا أنت ترى ليلى بشكل ويراها مجنون ليلى بشكل آخر. فلا تنظرْ إلى الجميل بنظر خالٍ من العشق، بل انظر إليه بالعين الوالهة لمجنون.

٨١. كن ترابا تنبت الورد

هل ينبت الصخر ولو مر عليه ألف ربيع؟ ليس العيب في الربيع، بل في قلبك المتحجر بالكبر والغرور. حاول جهدك أن تكون متواضعا مثل التراب، فسترى كم سينبت من تلك التراب ألوان من الورود، ويُقبل الربيع.

شرح ١٨ بيتا من المثنوي

أهمية رقم ١٨:

كما هو معلوم فإن ١٨ بيتا فقط من مجموع ٢٦ ألف بيت الموجودة في المثنوي، هي الأبيات التي كتبها الرومي بقلمه. أما الباقي فقد كتبها طلابه -وفي مقدمتهم حسام الدين جلبي- الذين كانوا يكتبون ما ينشده من أبيات الشعر. لذا كان من الطبيعي أن تكون لهذه الأبيات (الثمانية عشر) مكانة خاصة لدى المولويين. فنجد أن ستة من شروح المثنوي الموجودة لدينا، اكتفت بشرح هذه الأبيات فقط. فهل كانت كتابة الرومي لهذه الأبيات بيده مصادفة أم كان اختيارا واعيا؟

بعض الشراح ذكروا أن هذا الأمر لم يكن مصادفة وساقوا العديد من الاحتمالات في هذا الصدد منها:

١. كان الأتراك منذ القديم يعدون رقم تسعة (٩) وأضعافهاا من الأرقام السعيدة. يقول الرومي في كتابه: "الديوان الكبير" في إحدى غزلياته: "أيها الجميل ذو البشرة الشبيهة بورق الياسمين، لن أقبل أقل من ١٨ كأسا". وهذا يشير إلى أن العدد ١٨ كان عددا مقدسا في زمنه.

٢. حسب عقيدة القدماء هناك ١٨ عالَما. وكان كل عالَم يقابل ألفا. فنحصل على عدد ١٨ ألفا. ويقول "إسماعيل حقي خسروي": إن المثنوي هو ترجمان لـ ١٨ ألف عالَم.

٣. إن القيمة الأبجدية لاسم الحي -وهو أحد الأسماء الحسنى لله ﷻ- هو ١٨.

والخلاصة أن المولويين صنعوا حول عدد ١٨ ثقافة معينة؛ فمثلا عندما يريدون نذر أي شيء لتكية مولولية تكون هذه الهبة تحت اسم "نذر مولانا" وتكون من أضعاف رقم ٩ (مثل ٩، ١٨، ٢٧، ٣٦). كما أن المريد الذي يريد

الاعتكاف، يقوم في التكية بـ ١٨ خدمة مختلفة. وبعد أن يُتِمَّ المترشح لمنصب الشيخ مدة الاعتكاف الاعتيادية يدخل في حجرة الاعتكاف لمدة ١٨ يوما. والمترشح لمنصب الشيخ يقوم بأداء ١٨ نوعا من أنواع الخدمة، وفي كل خدمة يقضي ١٨ يوما. وفي التدريب الأول لراقص "السماع" يعلمونه الدوران حول رجله اليمنى ١٨ مرة. وفي التكية المولوية في مدينة قونية هناك ١٨ غرفة للدراويش. ويرجح أن يوجد في طقوس "السماع" ١٨ مشترِكا من مؤدي طقوس "السماع". فإن لم يتوفر هذا العدد يتم الاكتفاء بـ ٩ منهم... إلخ. ويمكن إيراد أمثلة أخرى في هذا الصدد. وهذه الأمثلة تعطي فكرة عن أهمية العدد ١٨ في الطريقة المولوية.

بعد هذه التفاسير والإشارات نود أن نبدأ بشرح هذه الأبيات الثمانية عشرة الأولى للمثنوي:

١. استمع إلى الناي وكيف يئن ويشكو، وكيف يشرح الفراق.

٢. يقول: منذ أن قطعتموني من القصب بكى الرجال والنساء من أنيني وبكائي.

٣. أَنشُد قلبا مولها مملوءًا بشجو الفراق لأشرح له ألم الفراق عندي.

٤. المرء البعيد عن أحبابه يظل ينتظر زمن الوصال.

٥. لقد أصبحت في كل مجتمع نائحا، وعاشرت البؤساء والأغنياء.

٦. حَسبَ كل واحد أنه خليلي، ولكن لم ينقب أحد عن كامن أسراري.

٧. سري ليس شيئا آخر غير صراخي. ولكن لا يوجد ذلك النور في كل عين وفي كل أذن.

٨. وليس الجسم بمستور عن الروح، ولا الروح بمستور عن الجسم. ولكن لا يؤذن لكل أحد بمشاهدة الحبيب.

٩. أنين هذا الناي جمرة نار، وليس نفخة هواء. فلا كان من لم تضطرم في قلبه مثل هذه النار.

١٠. العشق نار وقعت على الناي. وانفعال العشق هو الذي يحرك الخمر ويهيجه.

١١. الناي نديم مَن فارق خليله. وإن أنغامه قد مزقت ما يغشي أبصارنا من حجب.

١٢. من رأى مثل الناي سما وترياقا؟ ومن رأى مثله رفيقا مشتاقا؟

١٣. إن الناي يروي لنا حديث الطريق المملوء بالدماء الذي سلكه مجنون ليلى.

١٤. عديم العقل هو موضع سر هذا العقل لا أحد غيره. فليس هناك من يشتري بضاعة اللسان سوى الأذن.

١٥. بسبب أشجاننا طالت هذه الأيام وأصبحت رفيقة لحرقتنا.

١٦. إن مرت الأيام قل لها: مري أيتها الأيام... فأنا لا آسف عليكِ... يكفي أن تبقى معي أيها الصديق الطاهر الذي لا مثيل لك في الطهر والنقاء.

١٧. ارتوى الجميع من الماء سوى السمك. وطال يوم الفقير الذي لا يملك رزقا.

١٨. لا يفهم الشخص الفج حال من أنضجتهم التجارب. إذن فلماذا نطيل الكلام؟

شرح هذه الأبيات

يمكن شرح الاتجاه العام لهذه الأبيات في عدة جمل. فالروح الناضجة التي فارقت موطنها الأصلي تشتاق للرجوع إليه وتعدّ الأيام وتئن كالناي، وتدعو السامعين ليشاركوها آلامها. ولكن أثر صوتها على السامعين يختلف من شخص لآخر، لأن الأرواح في هذا العالم محاطة بطبقات عديدة من الأستار. فمن ثم بهتت ألوان وطنها القديم وانقطعت الأصوات واضمحلت الذكريات... ونسي البعض أن الدنيا دار غربة، وحسبوها وطنا أصليا وتعلقوا بها. أمثال هؤلاء لا يلتفتون إلى أنين الناي ودعوته. أما الأرواح التي لم تفقد حساسيتها تماماً فهي

تعي رسالة الناي بعض الشيء، وبدرجة نضجها تنتبه وتستيقظ. ونتيجة لذلك يمكن القول بأن أنين الناي وصراخه يمثل الأرواح الناضجة أي أرواح الأنبياء والأولياء.. فهم يجهدون في دعوة الناس للرجوع إلى العالم الرباني.

بعد هذا التلخيص سنقوم بشرح الأبيات ليس بيتا بيتا بل كنظرة عامة إليها.

شرح الأبيات من الناحية الشكلية

عبارة "استمع لهذا الناي" (وفي الفارسية: بشنو إين نى) الموجودة في البيت الأول ترد في بعض النسخ القريبة بشكل: "استمع من الناي" (في الفارسية: بشنو أز نى). كما يوجد اختلاف من ناحية التقديم والتأخير لكلمتي "الشكاية" و"الحكاية" بين بعض النسخ. وورود صوت أو حرف "النون" في البيت الأول يقوى المعنى كما يكسب البيت تناغما قويا. كما أن الجناس الموجود بين "نى" و"بشنو" يقوي البيت من الناحية الموسيقية.

مصدر الأمر من "بشنو" هو "شنو" ويأتي بمعاني: "اسمع، اشعر، استمع"، أما حرف "ب" الموجود في بداية البيت فهو لتأكيد المعنى. فيكون المعنى عندئذ: "اسمع جيدا، استمع بكل جوارحك".

لماذا يبدأ الكتاب بأمرِ "اسمع"

١- يكاد يجمع جميع الشراح بأن بدء كتاب المثنوي بكلمة "بشنو: اسمع" مبني على حكمة معنية. وخطاب "اسمع" ملهم من الكلمة الأولى للقرآن ﴿اقْرَأْ﴾(العلق:١) وجواب له. ذلك لأن الإنسان يصمت عند قراءة القرآن ويستمع له، والله ﷻ يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأعراف:٢٠٤). وما دام أن المثنوي تفسير معنوي للقرآن، فإن خطاب "اسمع" تنبيه إلى وجوب الصمت والاستماع إليه.

٢- الأمر "اسمع" موجه إلى الأُذن. ولكن لماذا لا يخاطب الرومي العين بدلا من الأذن ويقول "انظر"؟ يقول الشراح بأن هذا يعود إلى أن السمع في التصوف

أفضل من النظر، وأن الأذن أفضل من العين وأهم وأكثر قيمة. لأن عدم سماع كلام الله ﷻ والتحدث به هو أكبر خسارة وأكبر حرمان. لذا ورد في القرآن الكريم ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾(الأنفال:٢٢). ثم إن الأصم يكون أبكم في الوقت نفسه. لذا فإن العلة الحقيقية لأفضلية الأذن هي أنها تكون موضع خطاب الوحي الإلهي. فإن لم تسمع الأذن فكيف يمكن فهم البيان الإلهي؟ وكيف يحاسَب على ذلك البيان؟ فمن ثم فالأذن شرط أساسي للتبليغ.

وانطلاقا من هذا الأمر هناك أربعة أركان أساسية للطريقة المولوية، "الصمت"، "الجوع"، "قلة النوم" في الليل و"العزلة". وأمر "اسمع" (بشنو) يشير إلى الركن الأول وهو الصمت والاستماع. ومع أن جميع الحواس الخمس وسائط ووسائل لتحصيل العلم، إلا أن الحصة الكبرى في سماع القرآن وحفظه وانتقاله إلى يومنا هذا وفي تحصيل العلم تعود إلى الأذن. وفي كل موضع ورد فيه السمع والبصر في القرآن الكريم نرى أن السمع تقدم على البصر. فمثلا يقول الحق ﷻ: ﴿قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾(طه:٤٦).

هناك أدلة أخرى على أفضلية السمع على البصر، فمثلا: إن الأنبياء مع أنهم بعيدين عن جميع النقائص الروحية والجسدية إلا أن يعقوب عليه السلام أصيب بالعمى بشكل مؤقت. ولكن لم يتعرض أي نبي إلى الصمم على الإطلاق.

ويقدم الرومي في الأبيات الآتية أمثلة متعددة على تقدم السمع على التكلم:

"عندما يولد الطفل يكون ماصا للحليب. ثم يكون صامتا ويرهف أذنيه.

وحتى وصوله إلى مرحلة فهم الكلام يبقى صامتا لا يتكلم.

فإن لم يُصخ الطفل سمعه وحاول التكلم، أظهر ألمه تماما كالأعرج والأبكم.

الأصم الذي لا يستطيع السماع لا يستطيع التكلم، ويبقى فمه مغلقا مثل عديم اللسان.

لأنه يجب من أجل التكلم الاستماع أولا. فالأذن هي الطريق الوحيدة للكلام".

التشبيهات والتصورات حول الناي

يبدأ المثنوي بتنبيه القارئ إلى الاستماع لصوت الناي. ومن هذا نفهم أن الناي هو مفتاح هذا الكتاب وشفرته. فهل يقصد الرومي من طلبه لنا بالاستماع إلى الناي الذي هو آلة موسيقية، أم يستعمله كرمز ومجاز؟

لنستعرض هنا بعض التفاسير والشروح حول هذا الأمر:

١- الناي كآلة موسيقية

يرى البعض أن الرومي عندما قال: "بشنو إين نى" لعله عنى بالناي هذه الآلة الموسيقية المصنوعة من القصب. لأن صوت الناي هو أكثر الأصوات الموسيقية شبها بصوت الإنسان، وأن الصوت الحراق للناي هو في الحقيقة الصوت الداخلي للإنسان. هذا هو السبب في أن صوت الناي يثير الوجد والعشق لدى المستمع. لذا يرد الناي في أشعار الرومي، تارة كآلة موسيقية وتارة أخرى كمفهوم رمزي.

ونقدم أدناه أنموذجا في هذا الخصوص:

"أيها الناي، يا صاحب الصوت الجميل، أنت آسر للقلوب وأنت حلو وجميل، تعطي أنفاسا دافئة، وتمسح الأجواء الباردة وتزيلها.

لا توجد في داخلك عقدة ولا أي شيء آخر، فارغ تماما. أنت تَسِلُّ الآلام من القلوب الحزينة الباكية، وتجعل أصحابها مثلك تماما.

أنت ترسم لكل شخص صورة مناسبة لحبيبه؛ أنت لا تعرف القراءة والكتابة ولكنك رسام في الحقيقة تتقن التصوير.

أيها القصب المقطوع رأسه، الذي لا لسان له ولا شفة! أَذِق الناسَ من الأنفاس التي تبثها وكأنك تفشي أسرارا.

هوى لهب العشق على الناي، فغطى الدخانُ العالمَ، لأن صوتك هو صوت العشق. أنت تُسمِعنا صوت العشق في كل آن لأنك ملتهب على الدوام.

داعب بعشقك ولامس أسرار ليلى والمجنون. آه لو تعلم كم تبعث في القلب من لذة وللروح من طمأنينة".

وحسب رأي طاهر المولوي فإنَّ أمر: "استمع إلى الناي" هو في الوقت نفسه حث غير مباشر على رقص "السماع"، لأن "السماع" مظهر للوجد وللانفعال المعنوي الناتج من الصوت الجميل ولا سيما صوت الناي. لذا نجد أن الرومي مَارَس "السماع" مثلما مارسها العديد من المتصوفة الكبار، وشجع من حواليه على تأديتها.

٢- آدم عليه السلام

هناك في هذه الشروح بعض الحسابات المتعلقة بالحروف الأبجدية سلكوا منها سبيلا لتشبيه الناي بآدم عليه السلام. فمجموع كلمة آدم وحواء بالحسابات الأبجدية يبلغ ٦٠، وكذلك القيمة الأبجدية لكلمة الناي تبلغ ٦٠، لذا يشبهون آدم وحواء بالناي ويشبهون سبخة القصب[١٥] بالجنة. لذا فما ورد في البيت الثاني إنما يشير إلى هذا المعنى: "منذ أن قطعتموني من القصب بكى الرجال من أنيني وبكت النساء". فكل رجل وامرأة يتذكر ما جرى له عند سماعه أنين الناي.

٣- النبي ﷺ

وحساب أبجدي آخر يسعى إلى تأسيس علاقةِ شبهٍ بين الناي والرسول ﷺ. فبعض المفسرين يقول بأن حرف السين في سورة "يس" يرمز إلى النبي ﷺ، والحساب الأبجدي لكل من كلمة الناي وحرف السين هو ٦٠. وعلى هذا يكون القصد -حسب هؤلاء الشراح- مِن أمْر: استمع إلى الناي، هو: "استمع إلى الرسول ﷺ". وبما أن الرسول ﷺ كان واسطة الوحي، فيكون الأمر "استمع إلى كلام الحق تعالى".

٤- القلم

الناي كآلة موسيقية، معمولةٌ من القصب، وكذلك القلم. والقلم يَصِرُّ ويئن

(١٥) سبخة القصب: المكان الذي ينمو فيه القصب. (المترجم)

عند الكتابة مثل الناي. لذا فعندما يقول الرومي: "استمع إلى الناي" فكأنه يقول: "يا طالب الحق! استمع إلى ما يخطه القلم من كلام وما يحويه من أسرار، وافهم ما يريد أن يقوله بلسان الحال".

وأمر آخر في المشابهة بين الناي والقلم هو أن كليهما عاجزان في يد صاحبه. فالناي لا يصدر صوتا إن لم يكن هناك نافخ، كذلك القلم لا يستطيع الحركة والكتابة أو التوقف بإرادته، بل هو رهين باليد التي تمسكه وتابع لها. وهذا يشبه قيام الأولياء الذين أذابوا وجودهم وكيانهم في الإرادة الإلهية، وأدركوا أن جميع حركاتهم وسكناتهم وحديثهم وصمتهم تابع للإرادة الإلهية. ويشبّه الرومي هذا الأمر بصورة الأسد الموجودة في الراية، فأينما هبت الريح توجه الأسد نحوها. ولا يختلف موقف أسود الحق عن هذا.

وسبب آخر في تشبيه الناي -الذي هو من جنس النبات- بسيد الخلق ﷺ، هو أن القلم هو أول شيء خلقه الله كما جاء في الحديث (رواه أبو داود والترمذي وأحمد). فكل ما كتبه هذا القلم منذ الأزل أصبح له كيان في عالم الوجود. ويرد في حديث شريف آخر، أن أول ما خُلق هو نور سيدنا محمد (رواه البيهقي)، وأنه كان أصل كل شيء. وهكذا يتقارن القلم مع سيدنا رسول الله ﷺ.

٥- الرومي أو الإنسان الكامل

هناك من قال بأن القصد من الناي هو الرومي. والبيت الآتي يقوي هذا التفسير ويدعمه:

"قَصَّ ربي بدني الشبيه بالناي من قصب العدم وشذبه".

ولكن لماذا يُشْبه النايُ الرومي أو الإنسانَ الكامل الذي يمثله الرومي؟

هناك -حسب رأي الشراح- أوجه عديدة لهذا الشبه من ناحية الصورة ومن ناحية ما جرى ومن الناحية الباطنية. فالشبه من ناحية الصورة هو شحوب الوجه (اصفراره) وكون صدور العاشقين مثقوبة كالناي. والثقوب السبعة الموجودة في الناي هي في مقابل الأعضاء السبعة للإنسان المفتوحة للخارج. أما الشبه فيما جرى

والشبه الباطني فيحتاجان إلى شرح طويل لا نملك هنا إلا ذكره بتلخيص شديد:

يرى الرومي أن الناس مع أنهم يتشابهون في المظهر الخارجي، إلا أن كل إنسان يختلف عن الآخر من ناحية تمثيله للإنسانية. لذا فهو يصور الإنسانية كسُلَّم طويل يمتد من أسفل سافلين إلى أعلى عليين. ويمكن تصنيف هؤلاء الناس المختلفين، في صنفين أساسيين: صنف فج وصنف ناضج. وهو يُشَبِّه الفج بالقصب، والناضج بالناي. فالقصب الخام لكونه رطبا فجوفه مملوء بمواد عديدة، فمهما نفختَ فيه لن يصدر عنه أيّ صوت. ويدخل خبير الناي إلى سبخة القصب ويبحث عن القصب المناسب ويقصه ليصنع منه نايا. يشذبه أولا، وينظف داخله بالنار، ثم يتم فتح سبعة ثقوب فيه بسيخ محمي. بعد كل هذا يصبح ذلك القصب -المحروم من كل قابلية- نايا ويستحق حمل اسم "الناي". ثم إن صوت الناي ليس من نفسه. لأن كل ما يفعله هو أن يكون ترجمانا لأنفاس صاحبه، ويقلبَ هذه الأنفاس إلى صوت و نغم مسموع.فالصوت لا يعود للناي بل إلى نافخه.

وإذا نظرنا إلى الأفكار السائدة في المثنوي، نشاهد أن الرومي يرى أن الإنسان يأتي إلى هذا العالم ليس كناي ناضج بل كقصب فج وخام. والسعداء هم الذين يعيشون مغامرة التحول من قصب إلى ناي على يد خبير، حيث تتطهر أنفسهم من أدرانها بجمرة العشق ويحوزون على أوصاف الناي. وحسب رأي الرومي فإن التصوف يعني صفاء النفس وطُهرَها وتنقيتها من الأدران. ويقوم الحب الإلهي بمَلء الفراغ الحاصل في النفس بعد تخلصها من أدرانها. أي يتم نَفْث نَفَس إلهي -كنفس الناي- إلى داخل نفس الإنسان. ويقوم هذا النفس الإلهي بالتحرك والعمل داخل نفس الإنسان الناضج. ويوضح الرومي هذه الفكرة في الأبيات الآتية بشكل جميل:

أنا لا ألتقط حتى أنفاسي
ولكن نَفَس "ونفختُ فيه" ينفث لي[١٦]

(١٦) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾(الحجر:٢٩).

فيصل صراخي إلى نجم الثريا.
لقد قص ربي العظيم بدني الناي من قصب العدم وشذبه.
كان القلب رأسا لذلك الناي، والفم رأسه الآخر.
كان الرأس يلوك من شفاه العشق سكّرا...
امتلأ بِنَفَسِهِ هو...
سَكِر من شفتيه الاثنتين فضاق ونَحِل،
وبدأ يطلق صرخات السكران الثمل
(...)
أيها الناي! اهتف للعدم
لكي تشاهد مئات من ليلى ومجنون،
ومئات من العشاق والعاشقات الأبكار.

الناي المذكور في هذه الأبيات أو الناضجون الذين يشبهون الناي، والذين أصبحوا مظهرا للبيان الإلهي، يرد كصور في جميع الأبيات الثمانية عشرة الأولى. وحسب القبول العام للشراح والمفسرين، فإن الأنبياء والأولياء الذين كانوا مظهرا لهذا البيان الإلهي، إنما كانوا حاملين لهذا البيان وليسوا أصحابه. والآية الكريمة تقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾(النجم:٣-٤).

هذا عن الأنبياء، فماذا عن الأولياء؟

يلاحظ أن القرآن لا يحصر الوحي في الأنبياء، بل يستعمله في إطار أوسع. فمثلا يرد في آية أخرى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾، ومن الواضح أن أم موسى لم تكن من الأنبياء. وفي آية أخرى ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، والمقصود هنا أن الله ﷻ أعطى للنحل قابلية اتخاذ الجبال بيوتا ومما يعرشون.

والوحي يأتي إلى الأنبياء بواسطة الملك. أما الأولياء الذين هم ورثة الأنبياء، فيكونون مظهرا للإلهام الذي هو نوع وجنس من الوحي على نطاق ضيق. ولكي يكون الإنسان مظهرا للإلهام، عليه أن يمر من عمليات التصفية الوارد ذكرها

أعلاه. والذين يفلحون في تحقيق هذا الأمر يكونون، كما جاء في حديث قدسي مشهور: "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"(رواه البخاري).

أي إنهم لا يأكلون ولا يشربون إلا من أجله، وليس من أجل أنفسهم وهذا مظهر لسر "موتوا قبل أن تموتوا".

وتمثل تنورة راقص السما -التي تشبه كفن الميت- المعنى الرمزي لهذا الأمر والتعبير الجسدي له. فهو -أي الذي يؤدي السما- يعطي بيده اليسرى إلى الناس ما أخذه بيده اليمنى من السماء.

والخلاصة أن وجود هؤلاء -مثلهم في ذلك مثل صوت الناي- يُذكِّر بالعالم الآخر، ويدعو الأرواح المشتاقة إلى ذلك العالم.

الفراق عن الوطن

حسنا، فما الغاية من الشكوى الموجودة في البيت الثاني والتي تتكرر في الأبيات الأخرى؟ من أي فراق يشكو الناي ويئن؟ ما دام القصد من الناي هم الأولياء أو هو الرومي الرومي نفسه؟ فهل كان الرومي بعيدا عن الحق ﷻ لكي يشكو من الفراق؟ كيف يمكن أن يكون وليّ وصل إلى مرتبة "البقاء بالله" بعيدا عن الله؟ لنلخص التفسيرات التي تشرح هذا الأمر:

١- حال الولي القريب من الله ﷻ يشبه حال الرسول ﷺ الذي كان يستغفر الله تعالى سبعين مرة في اليوم الواحد مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. إذ يوجد في عالم المعنى والغيب ألف مرحلة ومرحلة في القرب من الله تعالى. لذا نرى الرومي يقول: "يا صاحبي! أينما وصلت في رحلتك نحو الله فلا تقف بل تقدم إلى الأمام، لأنه لا نهاية لهذا الطريق"، واستغفار الرسول ﷺ -الذي كان في تكامل معنوي دائم- كان ينشأ من مشاهدته للفرق بين مقامه الجديد ومقامه السابق الأدنى منه. إذن فالقرب لا يعني انطفاء الشوق. ويعطي حافظ الشيرازي في إحدى غزلياته مثالا لإيضاح هذا المعنى: "رأيت بلبلا ممسكا بورقة وردة في

منقاره وهو لا يزال يغرد بحرقة. سألته: ما دامت ورقة الوردة في منقارك فماذا يدعوك إلى كل هذه الشكوى والنوح؟ قال: السبب هو دلال المعشوق".

وأورد الشراح شرحا يقارب ما ذكرنا آنفا للشكوى الموجودة في البيت الخامس عشر عن أشجان الفراق. وحسب رأي طاهر المولوي، يتكلم الرومي هنا بالأسلوب المسمى بـ"أسلوب الحاكم". فهو يتحدث مع نفسه بما يريد قوله للآخرين. وهناك أمثلة في القرآن الكريم حول هذا الأسلوب منها قول حبيب النجار ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنْقِذُونِ ۝ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ ۝ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾(يس:٢٢-٢٥).

ويستعمل الرومي هذا الأسلوب. فهو عندما يخاطب المتلوعين بنار الغربة يوجّه خطابه لنفسه وكأنه هو المتلوع بحرقة الغربة.

٢. في البيت الثاني يئن الناي من آلام الغربة والفراق عن الوطن، وكل من يسمع صوت هذا الناي من الرجال والنساء يتذكرون ما جرى لهم فيبكون. وحسب القبول العام فالمقصود من الفراق هو فراق الروح من عالم اللاهوت الذي هو وطنه الأصلي وإرساله إلى هذا العالم المادي.

مَرْدُ وزن (الرجل والمرأة)

لما كان جنس الإنسان من ذكر وأنثى، لذا نقرأ في البيت الثاني كيف أن الناس جميعا -رجالا ونساءً- يبكون عند سماع أنين الناي. بمعنى آخر لا يسلم أي أحد من تأثير هذا الصوت. ولكن للشراح تفسيرات مجازية ورمزية عديدة لـ"مرد" و"زن". فهم يذكرون بأن كلمتي: الرجال والنساء كناية عن آدم وحواء اللذين أخرجا من الجنة. فكما أن الناي حزين لفراقه عن الوطن، كذلك آدم وحواء، إذ هما يبكيان لإخراجهما من الجنة ويذرفان الدمع الساخن. فكل صوت حزين يذكّرهما بما جرى لهما.

وفي تشبيه آخر يقولون بأن القصد من الرجل هو العقل، والمرأة هو النفس،

أي يقرنون الرجل في هذا التشبيه بالعقل، والمرأة بالنفس. أما رضاء الدين رمزي -وهو أحد شراح المثنوي- فيرى أن هذه الثنائية إنما هي رمز إلى أن الناس ينقسمون إلى طائفتين: الطائفة المختارة وطائفة العوام.

والنتيجة التي نخلص إليها: أن الصوت المحرق للناي يؤثر في العامة وفي الخاصة بدرجات مختلفة. ولكن مَن هم الواصلون إلى إدراك سر هذا الصوت؟ يجيب الرومي على هذا السؤال في البيت الثالث فيقول بأنهم هم الذين تمزقت صدورهم من ألم الفراق.

مواقف مختلفة من الوطن الأصلي

الوطن الأصلي الذي يلد فيه الإنسان ويشب مهم وثمين لدى كل إنسان، وهذه خصلة إنسانية أساسية. والروح تشتاق إلى عالم اللاهوت وتود الرجوع إليه لأنه موطنها الأصلي. وأنين الناي تعبير عن هذا الشوق كانعكاس لهمّه وحزنه. فالإنسان يرتاح بعض الراحة وتخف بعض أحزانه من مشاركة الآخرين همومه. ولكن السلوان لا يتحقق إلا بفهم المستمع لهذا الحزن واشتراكه فيه. فالحديث عن الجوع لشخص شبعان والحديث عن الظمأ لشخص مرتو لغو لا معنى له. يقول الشيخ سعدي في هذا الخصوص:

"اسأل عن قيمة مخازن الماء والأحواض من أفراد قافلة ضلت طريقها في الصحراء...

إذ كيف تعرف قيمة الماء وأنت على شاطئ نهر الفرات؟".

لذا لا يعرف آلام الفراق إلا من كابدها. وهذا يعني أن تذكُّر الموطن الأصلي والشوق للرجوع إليه، يختلف عند الناس باختلاف درجة نضج الروح. ويورد الرومي في كتابه: "فيه ما فيه" نكتة حول هذا الاختلاف والفرق، فيقول: أن هذا يشبه حال الطفل النصراني الذي يُربّى ويشب في بلد مسلم ويتلقى تربية إسلامية. فبعض هؤلاء الذين فارقوا أهاليهم وهم أطفال صغار، قد ينسون ماضيهم تماما وينصبغون بصبغة موطنهم الجديد. والذين يفارقون أهليهم وهم

أكبر قليلا قد يتذكرون ماضيهم قليلا ويتحسرون. أما من فارق وهو شخص ناضج فلا يمكن أن ينسى موطنه الأصلي أبدا، ولا ينسى عائلته السابقة. فهؤلاء موجودون بأبدانهم في موطنهم الحالي، ولكن قلوبهم ترف فوق موطنهم الأصلي السابق.

وهكذا يختلف تعلق الناس بموطنهم الأصلي حسب اختلافهم في درجة نضجهم الروحي. فأصحاب القلوب الفجة نسوا ذلك الموطن تماما والتصقوا بالدنيا. أما الأنبياء والأولياء الذين امتلأت قلوبهم وشفاههم بلذة ذلك العالم فهم يعيشون في هذه الدنيا حياة غربة، وقلوبهم متوجهة على الدوام لذلك العالم. وهم يقومون بتذكير الناس بذلك العالم؛ وحالهم حال ذلك الظبي الذي وقع في إسطبل الحمير والذي أوردنا قصته سابقا، والناس العاديون لا يفهمونهم ويضجرون ويغتاظون من تذكير هؤلاء بذلك العالم.

بَدْحالان وخوش حالان

أي أصحاب الأحوال السيئة وأصحاب الأحوال الطيبة. في البيت الخامس يذكر الرومي أنه عاشر جميع الناس دون القيام بتصنيفهم ودون تمييز بين الأشرار منهم والأخيار. وقام شراح المثنوي بتفسيرات عديدة لهذين التعبيرين؛ فبعضهم ذكر أن القصد من أصحاب الأحوال السيئة هم الكفار، وقال بعضهم، هم: النفس الأمارة بالسوء والفاسقون والعصاة. والمقصود من أصحاب الأحوال الطيبة هم الأنبياء والأولياء والصالحون.

ولكن ما تفسير قيام الرومي بمعاشرة الجميع، الأخيار منهم والأشرار؟ لماذا لا يكتفي بمعاشرة الأخيار؟ نرى إيضاح هذا الأمر في مواضع عديدة في المثنوي. إذ ذكر فيها أن الأنبياء والأولياء الذين قاموا بمهمة إرشاد الناس يُشْبِهون سواس الخيل، لذا يتعرضون إلى العديد من الرفسات والعض. وعلى الرغم من الأذى والمضايقات التي يتعرضون لها لا يهملون وظائفهم، بل يستمرون في معاشرة جميع الناس لتربيتهم وإرشادهم. وأفضل مثال على هذا هو نبينا محمد ﷺ الذي كان يتصل مع المشركين ويحاورهم ويحضر مجالسهم أداءً لوظيفة التبليغ

والإرشاد، من غير أن تَحُول الآلام التي تعرض لها دون أداء هذه المهمة. وفي موضع آخر يشبّه الرومي علاقة الأولياء بالشعب بعلاقة الطبيب مع المريض. فالأولياء بمثابة أطباء معنويين يقومون بعلاج الأدواء المعنوية ولا ينتظرون أجرا إلا من الحق ﷻ، ويتحملون في هذه السبيل أذى الناس. والقصة الواردة في المثنوي حول "الحسن الخرقاني" مثال على هذا:

جاء مريد من مكان بعيد لزيارة الولي الكبير الخرقاني، ولكنه لم يجده في البيت بل قابل زوجته السيئة الطبع. وعندما عرفت الزوجة سبب زيارة هذا المريد لم تدع مثلبة إلا وألصقتها بزوجها. ضاق صدر المريد بما سمعه فترك البيت وابتعد عنه، فرأى وهو في طريق الغابة الولي الكبير وقد حمّل حطبا على أسد وهو يسير معه. فتعجب المريد من هذا التناقض، فقال له الولي جوابا على تعجبه وتساؤله: "لولا أننا تحكمنا في النفس الموجودة داخلنا لما تحكمنا في هذا الأسد. وما تحملنا لأذى تلك الزوجة الشرسة إلا من أجل الحصول على رضا الله ﷻ".

وكما يُفهم من هذه القصة، فالعين التي تبصر الحقيقة تكون كلُّ تجليات الحق تعالى مقبولة عندها. والناس في يد الحق تعالى كمِلقط. والشخص الناضج هو الذي يرى اليد ولا يهتم بالملقط، لذا يتساوى عنده ما يراه من خير وشر. والخلاصة أن حال الخير والشر هي بالنسبة للناس، أما بالنسبة للحق ﷻ فهما سواء في الجمال.

ويفسر طاهر المولوي ورود "أصحاب الأحوال الشريرة" قبل "أصحاب الأحوال الخيرة" بنكتة ينقلها من كتاب "كلستان"، هي أن وليا كان يدعو الله ﷻ فيقول: "يا رب! ارحم الأشرار، أما الأخيار فقد لطفت بهم وجعلتهم أخيارا".

ووجود الأنبياء والأولياء بين الأشرار يصونهم من عذاب الله ﷻ. والقرآن الكريم يخاطب الرسول ﷺ فيقول: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾(الأنفال:٣٣). وحسب المناقب المروية عن الرومي فإنه كان يختلط حتى بأسافل الناس، واستنكر بعضهم هذا الأمر فقالوا:

"إن مولانا رجل صالح وعالم، ولكن المحيطين به من أسافل الناس". وعندما طرق هذا الكلام سمع مولانا قال: "لكون هؤلاء أشرارا كنت شيخا لهم. ولو كانوا أخيارا لأصبحت مريدا لهم".

الشراكة في الأسرار

من المفاهيم الأساسية الموجودة في النص، موضوع عدم العثور على من يستحق الشراكة في السر، وعدم فهم الآخرين له حق الفهم. فالإنسان يرسم للإنسان الآخر أفقه. والروح عندما تتعرف على روح أخرى تفهمها، تتفتح لها وتنشرح بها. وأحد أهم المشاكل التي يعانيها العظماء هو أن الناس لا يستطيعون فهمهم كما يجب، وهؤلاء العظماء لا يستطيعون شرح عالمهم الداخلي بالكلمات فيظلون غير معروفين تماما. لذا كان هؤلاء العظماء يعانون من الوحدة. والبسطاء الذين انحدرت عندهم عقولهم إلى عيونهم يظنون أن هؤلاء العظماء مثلهم عاديون. ويحسبون أن الأنبياء والأولياء عبارة عن مخلوقات من أجساد برؤوس وأيدٍ وأرجل فقط، ولا يدركون فهم المعاني المكنونة وراء تللك الأبدان، ولا يستطيعون إدراك بحر فكر ومشاعر هؤلاء. وحسب تشبيه الرومي: مهما كان البحر واسعا فحصة الإنسان منه هو بسعة الوعاء الذي يحمله. وهذا الوعاء يمثل سعة إدراك ذلك الإنسان. والرومي يشير إلى هذا المعنى وإلى هذه الحقيقة في البيت السادس ويشكو من عدم الفهم هذا عندما يقول:

"حَسِب كل واحد أنه خليلي، ولكن لم يبحث أحد عن أسراري الداخلية".

وفي البيت التاسع يتعرض لهذا الموضوع فيقول بأن صوت الناي المحرق كالجمرة يبدو لبعضهم وكأنه نفخة ريح ولا شيء غيرها. فمن ثم يمكن أن يقال بأن الشخص الوحيد الذي فهم الرومي حق الفهم هو شمس التبريزي، والذي فهم شمس حق الفهم هو مولانا جلال الدين الرومي.

علاقة الصورة بالسريرة

حسنا... ولكن ما دام السر في الداخل، فكيف يستطيع الإنسان أن يعرف

هذا السر الداخلي؟ لكي يجيب الرومي على هذا السؤال يضع هذه الكلمات على فم الناي في البيت السابق:

"سري ليس شيئا آخر غير صراخي،
ولكن لا يوجد ذلك النور في كل عين وأُذُن.
وليس الجسم بمستور عن الروح،
ولا الروح بمستور عن الجسم
ولكن لا يُسمح لكل شخص بالرؤية".

يفهم من هذا أنه وإن كان السر مخفيا، إلا أن له مظاهر وانعكاسات إلى الخارج. وكما ينضح الإناء بما فيه، كذلك ينضح العالَم الداخلي للإنسان إلى الخارج بشكل من الأشكال. حتى إن القدماء كانوا يرون أن جسد الإنسان يأخذ شكلا مناسبا حسب صفاته الروحية، لذا وضعوا ما سموه بـ"علم القيافة". وحسب هذا العلم فإن جميع صفاتنا المادية وجميع طبائعنا وأخلاقنا قد نضحت إلى الخارج وأخذت قالبا مرئيا. وحتى لو لم نكن من القائلين أو المناصرين لعلم القيافة، فمما لا شك فيه أن عالمنا الداخلي ينعكس خارجيا بلغة الجسد، أي بنبرة الصوت وشكل النظرة والابتسامة والتعبير المرتسم على الوجه. ونحن نستطيع أن نستنتج من هذه الأمارات الصغيرة ما إذا كان الشخص الموجود أمامنا ناضجا أم فجا، أي إن كان -بتعبير الرومي- عاشقا أم لا. وليس من الضروري أن نفتح غطاء الإناء حتى نعرف أمِسك فيه أم ثوم، فالرائحة المنبعثة منه تكفي لمعرفة ما فيه.

فهناك علاقة وثيقة بين الصورة والسريرة. وصوت الناي المحرق يكون شاهدا على خلفية ذلك الإنسان وعلى ما جرى له من قبل. فإن ذلك الإنسان يعكس إلى الخارج عشقه وعلمه بالمقامات الموسيقية -أي ما يعكسه الناي من صوت- وحرارة قلبه. فإن كان المستمع على غير دراية بالصوت الحسن وبالصوت القبيح، ولا يفهم شيئا عن المقامات، أي لا تملك أذنه قابلية التمييز، لا يمكن له إدراك سر الناي ولا فهمه. ويعطي الرومي -الذي كان على دراية

كبيرة بالنفس الإنسانية- في كتبه أمثلة عديدة في موضوع "كشف الخصائص الباطنية بالمظاهر الخارجية"، فمثلا نجد في الحكاية الأولى في المثنوي، كيف أن طبيبا حاذقا كشف من الاستماع إلى نبض جارية شابة ومن تعابير وجهها مشكلتها العاطفية.

يقول بعض الشراح بأن المقصود من النفس الواردة في البيت الثامن هو الروح. وكما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾(الإسراء:٨٥) فإنه لا يمكن إدراك الروح. أما "إسماعيل حقي البورصوي" فيقول: إنه لا يمكن مشاهدة الروح بعين الرأس. ولكن يمكن مشاهدتها بتجلياتها في هذا العالم، مثلما نستدل على الحق تعالى بتجلياته في الكون.

العشق أساس كل شيء

من أكثر المفاهيم والتعابير الموجودة في المثنوي بعد مفهومَي الناي والفراق هو مفهوم "العشق". وفي الأبيات ٩-١٣ يتم تناول هذا المفهوم بشكل مكثف:

أنين هذا الناي جمرة نار، وليس نفخة هواء.

فلا كان من لم تضطرم في قلبه مثل هذه النار.

العشق نار وقعت على الناي. وانفعال العشق هو الذي يحرك الخمر ويهيجه.

الناي نديم مَن فارق خليله.

وإن أنغامه قد مزقت ما يغشى أبصارنا من حجب.

من رأى مثل الناي سما "وترياقا"؟ ومن رأى مثله رفيقا مشتاقا؟

إن الناي يروي لنا حديث الطريق المملوء بالدماء الذي سلكه مجنون ليلى.

هنا نرى أن الناي يتطابق ويتماثل مع النار (الجمرة)، وتتطابق النار مع العشق. فكما تقوم النار بحرق جوف الناي وتنقيته وتنظيفه، كذلك تقوم النار المعنوية بحرق الأدران الداخلية للصوفي وتطهيرها، أي فالعشق ضروري. ويقوم الرومي في الأبيات الآتية بمباركة العشق الذي يخلص الإنسان من الفَجاجة ويزيل عيوبه ويفتح عين قلبه، ويعطيه بوصلة للطريق الموصل إلى الحق ﷻ:

"ما أسعد من مزق ملابسه بيد العشق!
فقد تخلص من جميع الأطماع والعيوب.
العاشق عليل، ولكن هذه العلة لا تشبه أي علة أخرى
فالعشق بوصلة للعاشق توصله إلى أسرار الحق ﷻ"...

ولكن لماذا كان العشق نارا؟ ولماذا توجد الآلام والبلايا في لعبة العشق؟.. لأن جميع هذه الآلام والبلايا تخدم إنضاج العاشق. كيف؟ يقدم الرومي هذا المثال المفهوم من قبل الجميع:

"ما إن يغلي الحمص الموجود في القدر حتى يبدأ بالقفز إلى سطح القدر. ويبدأ بالتقافز وكأنه يقول: لماذا تضعونني على النار، وما دمتم قد اشتريتموني فلماذا تجرعونني هذه الآلام. أما سيدة البيت فتضرب بالمغرفة قائلة: كلا، لا تحاول الهرب من النار، بل يجب سلقك جيدا. أنا لا أفعل هذا كراهية مني لك، بل لكي تحصل على مذاق جيد ولكي تتحول إلى غذاء وتختلط بأنفسنا. ليس هذا الامتحان لك بسبب الرغبة في امتهانك. فعندما سُقيت الماء في المزرعة واخضرَرتَ ونَمَوْتَ... كل هذه الأمور تمت لكي يتم غليك وتعريضك للنار هنا. إن رحمة الله سبقت غضبه وقهره. لذا فامتحانه لأحدهم من رحمته به... أيها الحمص تعرضْ للنار وللبلايا، لكي يزول وجودك وتزول أنت".

إذن فنضج العاشق يستلزم مروره من حلقة مثل هذه النار. ويلاحظ هنا أن العشق يُنظر إليه كواسطة تربوية. ونشاهد هذه النظرة في مواضع عديدة في المثنوي وبتشبيهات مختلفة؛ فمثلا: يشبه الرومي النفس بحديد بارد، ولا يمكن إعطاء شكل لهذا الحديد البارد بطرقه على السندان، بل يجب تليين الحديد بتعريضه للنار أوّلا لكي يكون قابلا للطرق وللتشكيل. ولا تتطهر نفس الإنسان إلا بيد العشق الذي يجعله كالشمع ويحوله إلى هوية أخرى، إذ يسمي الرومي هذا الوضع بـ"الولادة الثانية".

لا شك أن هذا الطريق طريق صعب ولكن نهايته سعيدة. لذلك كان العشق سمًّا ودواءً. هو ألم لا يُحتمل ولكنه يَحمل في طياته لذةً لا توصف. لذا نرى

العاشق يئن من جهة، ولكنه من جهة أخرى لا يتمنى زوال هذا الألم.

يقوم الرومي بتصوير هذه الحالة الروحية عند مجنون ليلى فيقول:

"يتمنى جميع المرضى الشفاء، أما مريض العشق فيهتف بـ"هل من مزيد".

ويرى بعض الشراح أن المقصود من الداء والدواء هو المرشد. ففي الآية الكريمة يقول الله ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(الفتح:٢٩). فالأولياء الذين يقتفون آثار الرسل يكونون بمثابة السم للعصاة، والداء لمن يُرجى منه الخير من الناس.

إذا ذُكر العشق يتبادر إلى الذهن مجنون ليلى، وإذا ذُكر مجنون ليلى يتبادر العشق إلى الذهن. والناي مجرد قاصّ لقصة مجنون ليلى. وهو عندما يقص قصة آلام مجنون ليلى، ينكص مَن لم يكن أهلا لسلوك هذا الطريق من جهة، ويحفز العشاق الحقيقيين لسلوكه من جهة أخرى. ولكن أَلَمْ يوجد في هذا العالم غير مجنون عَشِق ليلى؟ بلى. فحسب رأي الرومي لا يوجد في هذا الكون شيء يخلو من العشق. فكل شيء عاشق لكل شيء. السمك للماء والماء للسمك، النهار لليل والليل للنهار... لذا كان كل منهم يتعاقب مع الآخر دون كلل أو ملل. وهذا البحث المتبادل موجود أيضا عند الحبيب وعند العاشق. يقول الرومي:

"جميع السلاطين عبيد لعبيدهم، وجميع المخلوقات مستعدة للموت في سبيل من يموت من أجلها.

والسلاطين تتواضع لمن تواضع لهم.

وكل حي ثمل بحب من يثمل بحبه.

أصحاب الجمال أسرى لعشاقهم ومستعدون للفداء بأنفسهم في سبيلهم.

من كان عاشقا فاعلم أنه معشوق أيضا. لأنه لا يمكن فصل العاشق عن المعشوق.

ومع أن العطشان يبحث عن الماء إلا أن الماء أيضا يبحث عن العطشى".

والخلاصة أن خميرة الكون وحيويته مختلطة بالعشق؛ فكما أن حفيف الأغصان والأشجار وانحناء السنابل والأعشاب، وجفاف الملابس وتفتُّح الأزهار وغيرها من الحوادث تحصل بسبب ريح وهواء لا يُرى، كذلك فالعشق هو الدافع وراء حيوية هذا الكون وحركته. فالناي به ينفعل. ولكونه يثمَل به فهو يُثمِل الآخرين ويسكرهم. ومعنى أن يكون المرء عاشقا، هو قدرته على رؤية سريان العشق في كل شيء. فالعين التي ترى الحقيقة هي العين التي ترى الصانع المستتر وراء الحوادث، تماما كحال زليخا المدرجة أدناه.

"أصبحت زليخا بتأثير عشقها ترى في كل شيء يوسف عليه السلام، بدءًا من الحبة السوداء إلى نبات الصَّبِر... فإن مدحتْ شيئا فهي تمدح يوسف في الحقيقة، وإن اشتكت من شيء فإنها تشكو فراق يوسف، ولو ذكرت أسماء مئات الآلاف من الأشياء فقصدها يوسف. عندما تذكر اسم يوسف عليه السلام، وهي جائعة تشبع وتسكر بكأسه، وإذا تألمت أو توجعتْ وذكرتْ اسمه يزول الألم حالا".

والآن لنأت إلى العلاقة بين العقل والعشق المذكورة في البيت الرابع.

لماذا لا يدرك العاقل حال العشق بينما يدركه غير العاقل؟ لأنه يوجد تعارض طبيعي بين الاثنين. فالعشق نوع من الجنون والتضحية، بينما يميل العقل نحو التدبير والحيطة.. العشق عصيان، والعقل قبول.

ولكن يمكن أن يُقال: إن للعشق عقلا ومنطقا خاصا به. لذا نرى أن القدماء قسموا العقل إلى نوعين؛ عقل معاش وعقل معاد. فعقل المعاش هو العقل الذي نكتسبه من تجاربنا في هذه الحياة وبه نُديم حياتَنا. أما العقل الآخر فهو العقل الذي يسعى لكسب الآخرة، أي هو العقل الإيماني. وهذان العقلان المتوجهُ أحدُهما إلى الدنيا والآخَرُ إلى الآخرة كل منهما غريب عن الآخر، لذا لا يدرك عقل المعاد سوى من أنقذ نفسه من عقل المعاش، وبتعبير آخر هو من التجأ إلى العشق ولاذ به. ويشبه الرومي هذا بالعلاقة بين الأُذن واللسان. فلكل عضو وظيفة خاصة به، فلا يفهم أي عضو في الجسم الكلماتِ الخارجةَ من اللسان إلا الأذن.

وبعد هذه الأبيات المتعلقة مباشرة بالعشق يأتي البيتان: السادس عشر والسابع عشر، وهما يتناولان الأمرَ نفسه ولكن بصورة غير مباشرة:

"إن مرت الأيام فقل لها: مُرّي أيتها الأيام،

فأنا لا آسَف عليك. يكفي أن تُبقي معي الصديق الطاهر الذي لا مثيل له في الطهر.

ارتوى الجميع من الماء سوى السمك. وطال يوم الفقير الذي لا يملك رزقا.

ولكن من هو هذا الصديق أو الشيء الذي لا مثيل لطهره والذي يخاطبه؟ فالقصد منه -حسَبَ التفسير الشائع- هو "المرشد". وقال آخرون: إن الرومي يقصد بهذا الوصف حسام الدين جلبي الذي كان يحبه ويقدره. بينما يرى السيد "أحمد أتش" أن الرومي إنما يخاطب عشقه هو. فالأيام التي تمضي وتمر تسلب منا العديد من الأشياء التي كنا نملكها؛ أموالنا وأملاكنا، شبابنا وأصدقاءنا... ومن الطبيعي أن تثير هذه الخسارة الأسف والحزن عند الإنسان. ولكن الرومي يرى أن بقاء العشق -الذي هو أفضل صاحب وخليل- يكفيه. والسيد "أتش" يرى أن هذا البيت يشكل جوابا للنقد الموجه إلى الرومي وهو: "ألم يشبع هذا المرء من العشق وهو بهذا العمر؟ ألم يسأم من الانفعال والهيجان، وإجراء "السماع" هنا وهناك، والاستماع إلى الناي... وباختصار: مِن كل هذه الأحوال التي لا تليق بعالم وقور؟ فجواب هذا السؤال كامن في البيت الذي يلي هذا البيت مباشرة: "كلا... فهل يرتوي السمك من الماء؟" إذن فالعشق للعاشق كالماء للسمك. ويعبّر الرومي عن هذا المعنى في الأبيات الآتية بشكل وجيز إذ يقول:

"ذلك هو يوم العشق وأجرته،

وقلبه وحريق قلبه.

فكما أن الماء هو خبز وماء

ولباس ودواء ومنام للسمك،

فالعاشق كالطفل الأسير المرتبط بالثدي

لا يعرف شيئا غير الحليب".

ولكن هذا العشق الذي هو هبة إلهية لا يكون من نصيب كل شخص، لذا يصف الرومي الأشخاص المحرومين من العشق بـ"أناس محرومين طالت أيامهم". لأن عدم العشق يُعد عنده نوعا من الاحتضار ويوم المحتضر طويل.

الكلمة الختامية

ينبه الرومي في ختام الأبيات الثمانية عشرة الأولى من أشعاره والتي تعد مقدمة للمثنوي إلى حقيقة كونية فيقول:

"ماذا يعرف الشخص الفج عن حال الناضج؟!

لذا يجب اختصار الكلام.. والسلام"..

يمكن استخراج معنيين من هذا الكلام:

١- لا شك أن لكل مهنة لغتها الخاصة بها. وكذلك الشعر الذي يوظف العديد من المجازات والاستعارات والتلميحات التي أساسها الإيجاز. فهو لا يتكلم باللغة اليومية الاعتيادية، بل بلغة يتجاوزها. لذا كان من الطبيعي ألا يفهم الجميع أشعار عبقري مثل الرومي الذي استعمل جميع إمكانات اللغة وأدب التصوف.

٢- ولكن موضوع صعوبة فهم أبيات الرومي إنما ينبع من صعوبة فهم الحال. لأن الإنسان يستطيع فهم العديد من الأمور النظرية التي لم يعشها في حياته، وذلك بقراءة الكتب أو بواسطة سمعه وبصره. غير أن التجربة الصوفية تجربة شخصية لا يمكن فهمها دون تذوقها ودون الوصول إلى النضج المطلوب. وهناك أمثلة كثيرة في المثنوي حول هذا الأمر. فمثلا: كيف تستطيع الطفلة التي تلعب بعرائسها فهم الأمومة الحقيقية؟ وكيف يفهم الطفل الذي يركب جوادا خشبيا فهم لذة الزواج. لذا فمن العبث محاولة إفهام أشخاصٍ حقائقَ لا يستطيعون إدراكها، فهو أمر لا طائل تحته. إذن ما الحل؟ يقول الرومي: ليصمتْ.

المصادر

-Arpaguş, Safi, Mevlana Celaleddin Rumi'nin Eserleri Üzerine Yapılan İngilizce Çalışmalar, Tasavvuf Dergisi, Mevlana Özel Sayısı, 2005, s. 775-805 [Arpaguş]

-Bildiriler, Mevlana'nın 700. Ölüm yıldönümü Dolayısıyla Uluslararası Mevlana Semineri (15-17 Aralık 1973). Türkiye, İş Bankası Yay. Haz. M. Önder. Bildiri kitabında bilhassa şu bildirilerden istifade edilmiştir: Müjgan Cumbur, Mevlana'nın Eserlerinde Türk Boyları ve Türk kelimesinin değerlendirilmesi, s. 55-94 (Cumbur) Şerifül-Hasan, Mevlana ve İkbal, s. 125-138; H. Mazıoğlu, Mesnevi'nin Türkçe Manzum tercüme ve Şerhleri, s. 275-97)

-Can, Şefik, Mevlana: Hayatı Şahsiyeti Fikirleri (İs tanbul 1995) [Ş.C.]

-Can, Şefik, Divan-ı Kebir'den Seçmeler,

-Ceyhan, Semih DVİA, "Mesnevi", c. 29, s. 325-34 [Ceyhan]

-Chittick,W, Rumi ve Mevlevilik, Çev. Safi Arpaguş, Tasavvuf Dergisi, Mevlana Özel Sayısı, 2005, s. 709-727 [Chittick]

-Çelebioğlu, Amil, Mesnevi-i Şerif, Aslı ve Sadeleştirilmesiyle Manzum Nahifi Tercümesi, c. I-III, Sönmez Neşriyat, İstanbul 1967-72

-Demirci, Mehmet, DVİA, Fihi Mafih, c. 13, s. 58-9 [Demirci]

-Demirel, Şener, Dinle Neyden (Mesnevinin ilk 18 beytinin Türkçe şerhleri üzerine bir çalışma) Araştırma Yay. Ankara 2005

-Eflakî, Ahmet, Ariflerin Menkıbeleri, Çev. Tahsin Yazıcı, Hürriyet Yay. I-II, 1973 [E]

-Fihi Mafih, Meliha Ülker Tarıkahya, Maaraif basımevi, 1954 [Fihi Mafih]

-Fürûzanfer, Bedî üzzaman, Mevlana Celâleddin (trc. Feridun Nafiz Uzluk), İstanbul 1986 [F]

Göktaş,Vahit, Mevlana-Şems Münasebetinde İnsan-ı maşuk Felsefesi, Tasavvuf Dergisi, Mevlana Özel Sayısı, s. 549-63 [Göktaş]

-Gölpınarlı, Abdülkadir, Mevlevi Adap ve Erkanı, İnkılap ve Aka, İstanbul 1963 [G/c]

-Gölpınarlı, Abdülbaki Mevlana Celaleddin, İstanbul 1959 [G]

-Gölpınarlı, Abdülbaki, "Mevlana Şems-i Tebrizî ile Altmış İki Yaşında Buluştu", ŞM, 111(1959), s. 156-161 [G/a]

-Gölpınarlı, Mevlana'dan Sonra Mevlevilik, İst. 1983 [G/b]

-Güleç, İsmail, Türk Edebiyatında Mesnevi Tercüme ve Şerhleri, TUBA, 28/2, 2003, s. 161-76

-Kabaklı, A. Mevlana, Toker Yay. 1973 [K]

-Kadir, A., Bugünün Diliyle Mevlana, Gözlem Yay. 1980 [A. Kadir]

-Kafalı, Mustafa "Cengiz Han", DVİA, C. 7, s. 367-9

-Karaismailoğlu, Adnan, Mevlana Kongrelerine Sunulmuş Tebliğler Bibliyografyası

-Koner, M. Muhlis. Mesnevî'nin Özü, Konya 1961

-Köprülü, Fuad, İlk Muta savvıflar (İstanbul 1919), Ankara 1966

-Melikoff, I. "Batı Humanizmasının Karşısında Mevlana'nın Humanizması", Mevlana: Yirmi Altı Bilim Adamının Mevlana Üzerine Araştırmaları (Haz. Feyzi Halıcı), Kon ya 1983, s. 64-67

-Mevlana, Mecalis-i Seba, Yedi Öğüt, Türkçesi M. Hulusi, Yay. Haz. M. Doğan Bayın, Kırkanbar Yay.İstanbul 2001 [MS]

-Mevlana, Mesnevî (trc. Veled İzbudak), İstan bul 1988

-Mevlana, Divan-ı Kebir, Haz. A. Gölpınarlı, c. I-VII, Kültür Bakanlığı Yay. 1992

-Mevlana, Fihi Mafih, Çev. Meliha Ülker Tarıkahya (Anbarcıoğlu), Maarif Basımevi,1954

-Mevlana, Mesnevî ve Şerhi, Kültür Bakanlığı Yay. c. IVI, Ankara 1989

-Mevlana, Konularına Göre Açıklamalı Mesnevi Tercümesi, c. I-VI, Tercüme: Şefik Can, Ötüken Yay. İstanbul 1999

-Nicholson, R. A. Mevlana Celâleddin Rûmî (trc. Ayten Lermioğlu), İstanbul, (Tercüman Gaze tesi), s. 15-25

-Okuyucu, Cihan, İçimizdeki Mevlana, Bilge Yay. İstanbul 2002

-Okuyucu, Cihan, Mevlana Konuşuyor, Bilge Yay. İstanbul 2006

-Ön der, Mehmet, Mevlana Celâleddîn-i Rumî, Ankara 1986 [Önder]

-Ön der, Mehmet-İsmet Binnark-Nejat Sefercioğlu, Mevlana Bibliyografyası, C. I-II, Türkiye İş Bankası Yay. Ankara 1974

-Öngören, Reşat, Mevlana, DVİA, c. 29, s. 441-48 [Öngören]

-Öztürk, Yaşar Nuri, Mevlana ve İnsan, İst. 1992

-Ritter, Hellmut, Celaleddin Rumi, DVİA, III, s. 53-59 [Ritter]

-Sahih Ahmed Dede, Mevlevî-lerin Tarihi (nşr. Cem Zorlu), İstanbul 2003, 189

-Schimmel, Annemarie, Rumi I am Wind You are Fire: The Life and Work of Rumi, Bos ton-London 1992

-Schimmel, A. Aşk Mevlana Ve Mistisizm, Yay. Haz. Senail Özkan, Kırkambar Kitaplığı, 2002 [Schimmel/a]

-Schimmel, A. Mevlana Celaleddin Rumi'nin Şarkta ve Garbta Tesirleri, 6. Milli Mevlana Kongresi Tebliğler, Konya 1993, s. 75-82 [Schimmel/b]

-Schimmel, A. Mevlana Hindistan'da, Mevlana ve Yaşama Sevinci, Haz. Feyzi Halıcı, Konya 1978, s. 69-78 [Schimmel/ c]

-Sipehsalar, Feridun b. Ahmet, (Risale)Mevlana ve Etrafindakiler, Çev. Tahsin Yazıcı,Tercüman 1001 Temel Eser, İst. 1976 [S]

-Sultan Veled, İbtidânâme (trc. Abdülbaki Gölpınarlı),

Ankara 1976 [S.Veled]

-Şems-i Tebrizî, Konuşmalar: Makalât (trc. M. Nuri Gencosman), İstanbul 1974 [Makalat]

-Şerif, M. M., İslam Düşüncesi Tarihi, Halife Abdülhakim, Mevlana Celaleddin Rumi, (çev. Y. Ziya Cömert) İnsan Yay. 1991, c. 3, s. 43-63 [M.Şerif]

-Yaylalı, Kamil, Mevlana'da İnanç Sistemi, Sebat Matb. Konya

Yakıt, İsmail, Mevlana'ya Göre Hayatın Evrimi, 2. Millî Mevlana Kongresi (Tebliğler), Konya 1987, s. 41-56

-Yakıt, İsmail, Batı Düşüncesi ve Mevlana, Ötüken Yay. İstanbul 1993

-Yazıcı, Tahsin, Divan-ı Kebir, DVİA, c. 9, s. 432-33 [Yazıcı]

-Yeniterzi, Emine, Mevlana Celaleddin Rumi, T. D. Vakfi Yay. Ankara 1995 [Yeniterzi]